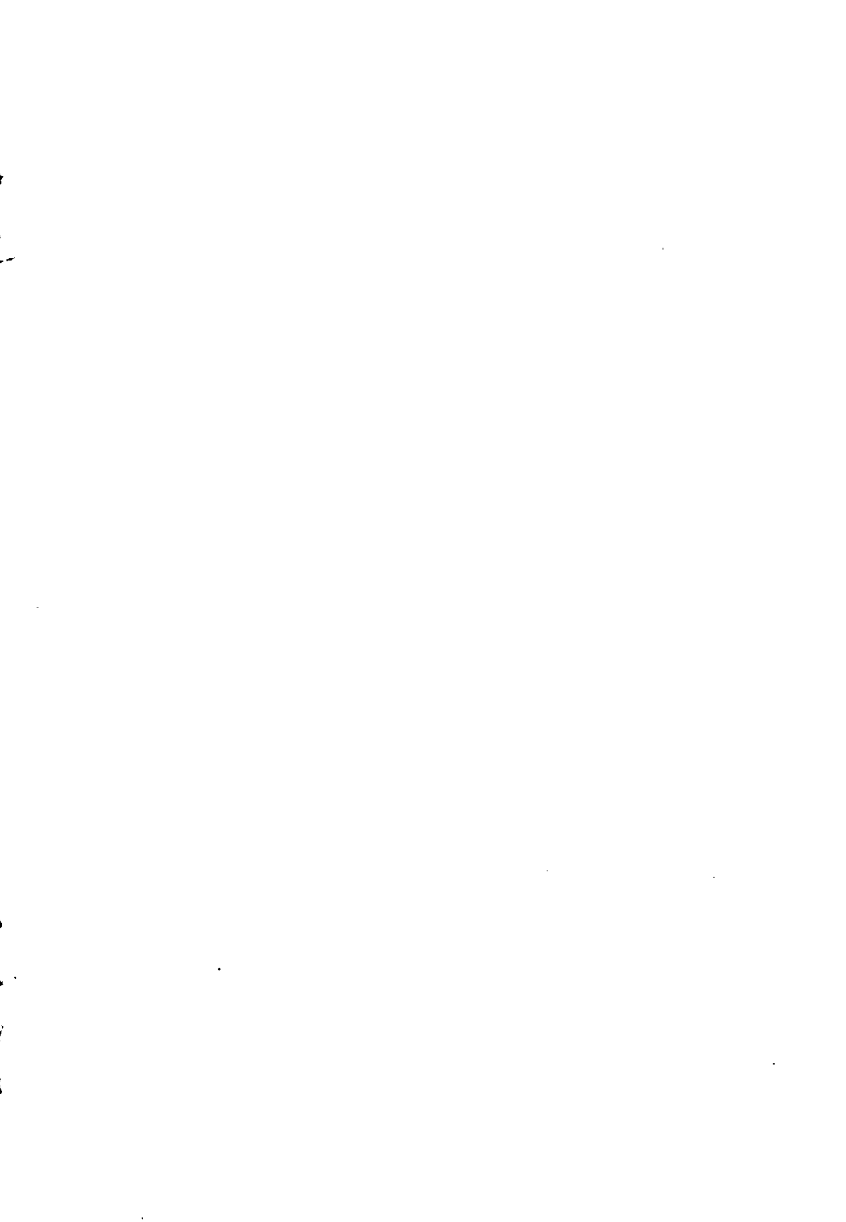
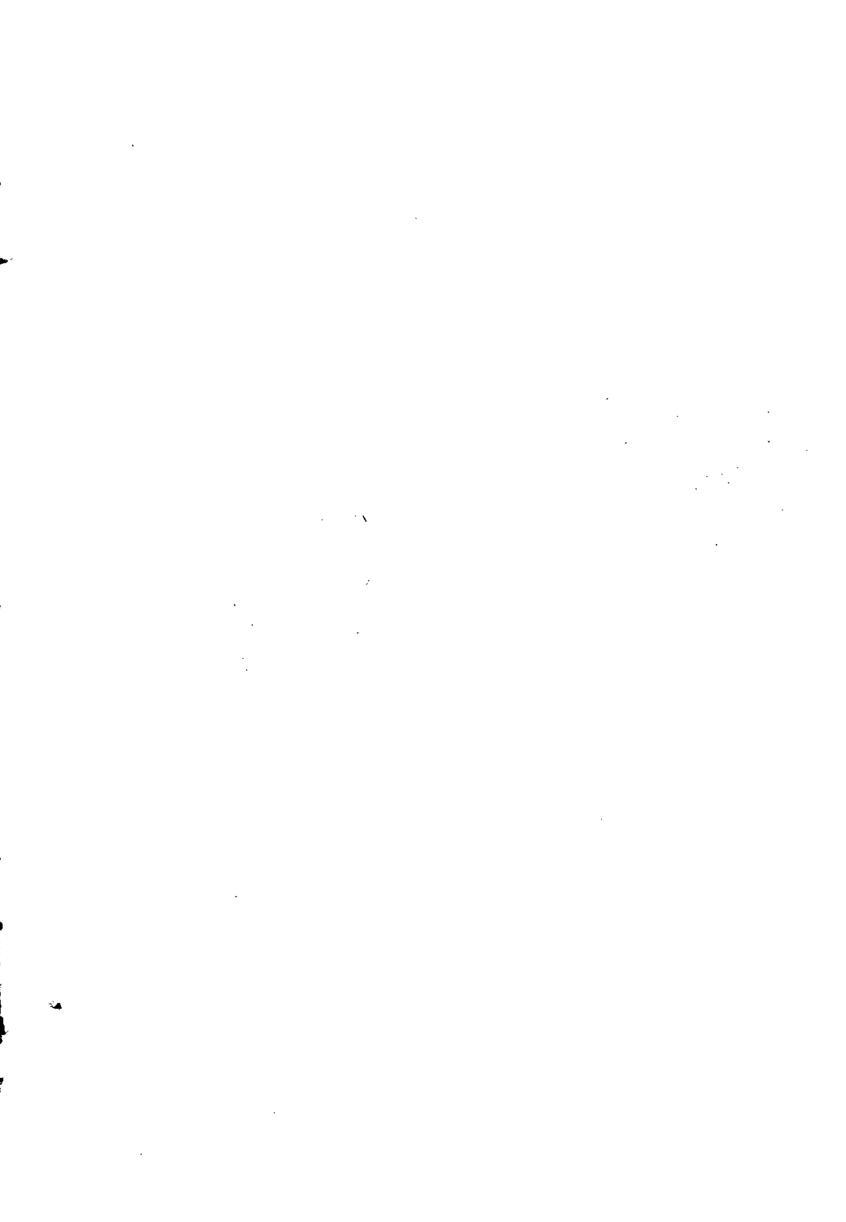












حبّات من عنقود

«اوراق متناثرة»

طبعة اولى : ذو الحجة ١٣٨٧هـ
آذار – مارس – ١٩٦٨

محمد علي مغربي

حبات من عنقود

منشورات
مؤسسة قنديل التجارية
للطباعة والنشر والتوزيع
جدة ـ بيروت

صورة الغلاف للفنان
عبد الله الشهال

الخطوط بريشة الخطاط
صالح نجيب

فهرس



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة للمؤلف

هذه الأحاديث نشرت في أوقات متفرقة في جريدتي البلاد والندوة ، لا تلتزم بفكرة محددة ، أو تتقيد بموضوع معين ، وانما هي ذكريات وخواطر تجمع بين اللمحة العابرة ، والفكرة الخاطرة ، كما تتحدث عن المدن ومعالمها ، والرجال الذين اتصلت اسبابي باسبابهم في ايجاز أو تفصيل ، حسب مقتضيات الحال وانطلاق الذهن حين كتابتها ، ولم أرجع اليها بحذف أو تعديل فقد تركتها كما كانت عليه حينما صافحت أنظار القراء حين نشرها لأول مرة وهذا النشر لا يعود تاريخه

إلى بعيد فهي قد نشرت جميعها خلال الأعوام الثلاثة الماضية ، وقد رأيت أن أجمعها في صعيد واحد بين دفتي هذا الكتاب واني لأرجو أن يجد فيها القارىء بعض المتعة وأن يجد فيها المتأدب بعض الفائدة فان بلغت إلى شيء من هذا وذاك فهو حسبي ولابلاغ الا بالله ومنه التوفيق .

محمد علي مغربي

الشعلة التي لا تنطفئ

كان هذا قبل بضعة عشر عاما ، وكانت هذه رحلتي الأولى إلى منطقة الظهران . وحلقت الطائرة فوق المدينة واخذت انظر باعجاب إلى الدارات الصغيرة الأنيقة تضمها الشوارع المنسقة في ارامكو وإلى معالم المدينة بكلما اشتملت عليه من مبان ومصانع ومعدات ، وفجأة رأيت شعلة كبيرة من النار يندلع منها الشرر ، وكانت الشعلة كبيرة إلى حد يثير الهلع ؟ والتفت إلى جاري في الطائرة اسائله هل يرى ما أرى ؟ ووجدت الرجل هادئا كانما ليس في الأمر ما يدعو إلى اثارة أو عجب وقال في هدوء : هذه شعلة الزيت .

قلت : وهل تبقى مشتعلة هكذا ؟

قال : نعم ،وأشار إلى شعل أخر لم التفت اليها ثم تساءل :

– لعلها المرة الأولى تفد فيها إلى هنا ؟

قلت : نعم .

قال: فانك سترى شعلا كثيرة في هذه الأرض لا تنطفىء في ليل أو نهار. ستبقى هذهالشعلة متقدةما بقى في البئر زيت ؟

قلت : ولكني رأيت آبارالزيوت في امريكا فلم ار هذه النيران المشتعلة في الأبار .

قال : انهم هناك يحولونها إلى طاقة للأنتاج ولهذا فأنت لم ترها ولكن الشعلة موجودة وان خفيت عن العيون .

هذه الشعلة التي لا تنطفىء ليست موجودة في منطقة آبار الزيت عندنا فحسب ، ولكنها موجودة لدينا هنا في هذه الأرض المباركة منذ أن بوأ الله تعالى لأبراهيم مكان البيت فبناه ، ومنذ أن اعتلى المقام – فأذن للناس بالحج فاجابته الأرواح في الأصلاب وأخذت وفود الحجيج تترى منذ الوف السنين ، وكانما أراد الله تعالى لهذا البيت العتيق أن يكون محجا للأمم كافة بعد أن كان محجا للعرب خاصة . فاختار لرسالته الخاتمة اشرف المرسلين والأنبياء محمدا عليه الصلاة والسلام من مكة المكرمة ، واهبط عليه الوحي في جبل من أعلى جبالها فكانت هذه الرسالة منارا للعالمين ، وسرت الدعوة بها في انحاء

الأرض كما يسري النور في أعقاب الظلام ، فعمت المشرقين وغشيت المغربين وأصبح حجاج هذا البيت من كل جنس ولون ، وفي كل بقعة تحت قبة هذا الفلك ولم يعد حج هـــذا البيت وما جاوره من مناسك ومشاعر خاصا بالعرب وحدهم ، وانما أصبح خاصا بالمسلمين في كل جزء من هـــذه الأرض الواسعة ، يفدون اليها من كل فج عميق . هذه الشعلة التي لم تنطفىء منذ الوف السنين ليس وقودها الزيت ، وانما وقودها العقيدة ومصدرها الايمان بالله . هذه الشعلة التي لا تنفذ لها مادة لم تهن لها طاقة ، ولا يعتورها نضب هي الكنز الحقيقي الذي شرف الله تعالى به هذه البلاد وأهلها فاختارهم لجوار بيتـــه ولخدمة وفده فكانوا كما يقولون :

ونحن بنوهـــا بل وخدام وفدهـــا
شرفنا بهـــا في بيدهـــا والمشـــارف
نرى في قفار البيد منهـــا مطـــارفا
ونبصر في نبت الربـــى كل طارف
وبيتك عز المسلمـــين وانمـــا
كرائمنا في البيت بعـــض الوصائف

قد يصبح الزيت بعد سنين قليلة أو كثيرة طاقة قديمـــة

الطراز باهظة التكاليف فتحل محله الذرة ، كما حل الزيت محل الفحم ، ولكن طاقة العقيدة لا يحل محلها شيء ، وقد تنفـــذ كنوز الأرض من زيت وحديد وذهب ومعادن أخرى بكثرة الأستهلاك والأنتاج ، ولكن كنز الأيمان لا ينفد ولا ينضب له معين بل يزداد على الأيام نماء وتدفقا وقوة . ولا يظنن ظان انني ابخس هذه النعم التي افاءها الله علينا من كنوز الأرض حقها فأني أعوذ بالله أن أكون من الجاحدين ، ولكننا وقــد اظلنا موسم الايمان ووفدت علينا وفوده ، ثم أخذت اهبتها للعودة إلى الديار نتذكر آلاء الله علينا وما خصنا به من تكريم وما اغدق علينا من نعم فنذكر الناس بهذه الشعلة التي لا تنطفىء والتي يستضيئون بنورها ويستدفئون بنارها منذ الوف السنين .

سأبني رجالاً

كنت عضوا في مجلس ادارة الشركة العربية للتوفير والاقتصاد بمكة المكرمة وكان رئيس المجلس الصديق المرحوم الشيخ عبد الله باحمدين ، وذات ليلة حضر الينا الشيخ عبد الله في المجلس وقال وهو بادي التأثير . لقد علمت اليوم أن البناية التي تشغلها مدرسة الفلاح بالقشاشية معروضة للبيع وأن ثمنها يبلغ مائة الف ريال ، وانني لا أتصور ماذا يكون حال التلاميذ وحال المدرسة بعد بيع بنايتها ، ثم استطرد قائلا ، الا يوجد مائة شخص من خريجي مدارس الفلاح في مكة وجده يستطيع كل منهم أن يدفع الف ريال فيجمعون قيمة المدرسة ويقدمونها هدية للحاج محمد علي زينل رئيس مدارس الفلاح الموجود حاليا بين ظهرانيننا . قلنا ان ذلك واجب لا مناص منه وأن خير

هدية تقدم للحاج محمد علي وقد اعتذر عن قبول حفلات تكريم له هي قيمة بناية هذه المدرسة التي غذاها بعقله وماله وجهده طول ثلاثين عاما أو تزيد ثم قلت للمجتمعين ، أن لدينا إلى جانب جمع التبرعات لشراء المدرسة وسائل أخرى بعضها في يدنا هنا في مجلس ادارة الشركة ، فان لدينا بندا للاعمال الخيرية مخصص له بموجب نظام الشركة خمسة في المائة من صافي أرباح الشركة سنويا وفي يدنا ان نصدر قرارا في الحال باعتماد المخصص جميعه لمدارس الفلاح ، كما اننا نستطيع أن نفعل مثل ذلك في الشركة العربية للسيارات ، وفي شركة الطبع والنشر ، وكل منهم له صلة بهاتين — الشركتين من قريب أو بعيد ، واذا رغبتم فانني ساشرح للشيخ محمد سرور وهو رئيس الشركات العربية جميعها الموقف كله وأخذ موافقته عليه ، ويكون بهذا قد جمعنا قسما هاما من المبلغ المطلوب من ايسر طريق ثم نلجأ بعدها إلى جمع التبرعات .

استحسن المجتمعون جميعا الفكرة ورحبوا بها وكلفوني ان اتحدث إلى الشيخ محمد سرور نيابة عنهم فيها، واعددت تقريرا مفصلا أوضحت فيه المبالغ التي يمكن جمعها من الشركات العربية، وشرحت فيه الامر شرحا وافيا وقدمته في اليوم التالي للشيخ محمد

سرور وقرأ التقرير بامعان ثم قال...انني موافق على كلما جاء في هذا التقرير ، ولكن هل تحدثتم إلى الحاج محمد علي وأخذتم موافقته قلت اننا نريد أن نأخذ موافقتك أولا ثم نتحدث اليه ، قال انا موافق فخذوا موافقته وأخبروني ، واتصلت باخواننا في مجلس ادارة الشركة العربية للتوفير والاقتصاد وأخبرتهم بالأمر فقرروا انتدابي مع الاستاذ الشيخ عبد الوهاب آشي ، والأخ السيد هاشم زواوى لمقابلة الحاج محمد علي زنبل وأخذ موافقته على الأمر ، وعهدنا إلى السيد هاشم بالاتصال بالحاج محمد علي وتحديد موعد معه للمقابلة ، وأتصل بي السيد هاشم في اليوم التالي وقال الاجتماع بعد صلاة الظهر مباشرة في بيت الآشي بالقشاشية وذهبت إلى الموعد وبعد دقائق حضر الحاج محمد علي وشرحت له الفكرة بحذافيرها ، وأشرق وجه الرجل العظيم وتهلل وهو يستمع إلي ثم قال لقد فكرت يوما من الايام أن اشتري محلا كبيرا هنا في القشاشية أشيد فيه بناء للمدرسة وأحيطه بدكاكين تكون موردا للمدرسة نفسها ... ولكني وقد حالت الظروف دون تحقيق هذا المطلب عزيت نفسي قائلا ، انني سأبني رجالا ... واني لاحمد الله تعالى ان جاء اليوم الذي رأيتكم فيه يا أبنائي ، يا أبناء الفلاح تغارون

على مدرستكم وتفكرون في شراء المبنى الذي يضم التلاميذ بعد أن علمتم أنه معروض للبيع وانكم تخشون عليهم من الضياع ... ثم أردف قائلا ، أن افكاري في الواقع تتلاقى معكم ، وانني هنا على اتصال بما لك الدار في هذا الشأن ، وان لدي مبلغا احضرته من الهند لهذه الغاية ، ولم ار في حياتي رجلا ساحر الحديث كالحاج محمد علي مد الله في عمره ، لم اجتمع اليه مرة الا وانطوى الوقت وهو يتحدث وأنا استمع ، فلا نشعر بمرور الزمن ، ولا بانقضاء الساعات ، وظل يومها يتحدث عن مدارس الفلاح وكيف انشأها وهو موظف في بيت أبيه بمرتب عشرة روبيات في الشهر الواحد وكيف كان وصحبه يأخذون التلاميذ من بيوت ابائهم بعد الغروب إلى المدرسة ثم يعيدونهم إلى دورهم في صدر الليل لأن الدراسة كانت في السر بعيدا عن أعين الدولة التركية ورقابتها .

تخذوا الظلام إلى الضياء وسيلة

والفجر يولد في الدجى فيشيب

وكيف سافر إلى الهند طلبا لتدبير المال لهذه المدارس وكيف تبرعت زوجته بحليها لتساهم في شراء مدرسة الفلاح بجده حينما عرضت للبيع ولم يكن يملك مالا لشرائها .

واستمر يتحدث ونحن نستمع اليه مأخوذين ولم نشعر إلا وقد اذن للعصر ولم نتناول غذاء، ولم نفكر في راحة ، وانتبه الرجل العظيم فقال لقد أضعت عليكم وقتا كبيرا ولكـني ساجتمع اليكم مرة أخرى ، قلت ولكني لم استمع جوابا منك على اقتراحنا ، أن الشيخ محمد سرور ينتظر موافقتك لنبـدأ الخطوات الأولى للمشروع ، قال لا تفعلوا شيئا حتى أخبركم. وأردف ساتقابل مع الشيخ محمد سرور ثم اجتمع اليكم مرة أخرى ، وانتظرنا وطال انتظارنا ، وكلما قدم لزيارة الشيخ محمد سرور تعرضت له مذكرا ويعدني بأنه سيخبر الشيـخ محمد سرور بما يستقر عليه رأيه وأخيرا سافر إلى جده ومنها إلى الهند وسألت الشيخ محمد سرور الم تتلق شيئا من الحـاج محمد علي ؟

فقال في هدوء كلا ثم ابتسم وقال انك لا تعرف الحاج محمد علي انه لا يقبل تبرعا من أحد ، قلت حتى ولا من ابناء الفلاح قال لقد خبرت بنفسك الأمر فلا داعي للجواب .

مد الله في عمر مؤسس الفلاح فلقد كان وما يزال باخلاقه العالية وعصاميته الفذة ، وغيرته العظيمة ، مدرسة كـبرى تبني الرجال ... ،

السمعة ام المال

قال صاحبي .

لقد شهدت اليوم أمرا عجيبا .

تاجر كبير يمتنع المصرف عن اعطائه التسهيلات التي يعطيها لتاجر صغير في أول درجات السلم ... فماذا ترى في ذلك ؟ قلت لقد فقد المصرف ثقته في التاجر الكبير فاصبح عنده أصغر من الصغير .

قال ولكن الرجل طائل الثراء ؟ قلت مال بلا خلق ، كعلم بلا عمل كلاهما شؤم على صاحبه ... ثم قلت لن يجدي الثراء شيئا اذا فقد صاحبه السمعة الطيبة التي يجب توفيرها في التاجر قبل كل شيء .

قال وهل تقدم السمعة على المال قلت بلامراء ، فالمال

عندي كالشهادة التي يحصل عليها الطالب ، تفتح له البـــاب وتضعه على أولى درجات السلم الكبير ، قد يفقد التاجر ماله كله أو بعضه ولكن ما تزال أمامه فرص كثيرة لاستعـــادة بعض ما فقد ، ولكن ان فقد السمعة فقد الثقة وفقد كل شيء وبعض التجار يعملون باسمائهم أكثر مما يعملون باموالهم فتعمل لهم الثقة ما لا يعمله المال وقد رأيت أنت المثال ،

وصمت صاحبي ولسان حاله يقول كنا نظن التجـــارة دراهم ودنانير فاذا بها مبادىء وأخلاق ؟ .

العقرب في الحذاء

كنا في ليالي الصيف نخرج إلى ظاهر مكة فنقضي بها الليل بعيدا عن البعوض وعن الجو القائظ داخل البيوت ، وكنا جماعة من الاصدقاء الاستاذ أحمد قنديل وأنا والاستاذ عبد السلام الساسي وغيرهم من الاصدقاء ، وكنا في تلك الأيام نتخذ من قهوة (العم حمزة) بالشهداء وفي موضع جراج الشركة العربية للسيارات الآن نزلا مختارا للعشاء والمبيت نقضي الأصيل بالمسفلة مع أصدقائنا من الأدباء الكثيرين ، ثم نعود إلى الشهداء، فنأخذ عشاءنا من جرول ونمضي به إلى العم حمزة فنجد المركاز مهيئا للمبيت ، وكان عبد السلام ولا يزال اعجوبة من الاعاجيب فنقضي صدرا من الليل نسمع روايته للشعر ، وحماسته للأدب ونتندر معه وربما هجاه القنديل

هجاء الاصدقاء الالداء ... ووفد علينا من جده الاستاذ احمد عمر عباس موظفا جديدا في مكة وانضم إلى الحلقة في مركاز العم حمزة ، وفي الليلة الأولى التي وفد علينا فيها الاستاذ احمد وكان ضيفا علينا قال انه كان يعمل في شركة التعدين في مهد الذهب ، وأنه تعود أن يشرب قهوة باللبن كل صباح وابدى ان لا طاقة له بالسير على الريق من الشهداء إلى القشاشية على قدميه دون شرب هذه القهوة بالحليب ... وعقدنا جلسة مستعجلة مع العم حمزة لبحث الموضوع ، ولم يخيب العم حمزة أمل الاستاذ أحمد فابدى استعداده لصنع القهوة واحضارها قبل مطلع الشمس ليستيقظ الاستاذ فيجدها طوع يديه ، وكان عبد السلام أكثر الحاضرين حماسا لهذه القهوة فلقد حاول معنا من قبل تناول شيء في الصباح ولم نوافقه بحال من الأحوال ... وكان من عادة عبد السلام كل ليلة أن يحافظ على امتعته فيضع الكوت والغترة تحت المخدة ويرفع الحذاء – أكرمكم الله – في جوانب الكرسي الذي ينام عليه، وكنا نعجب لهذا الحرص ونتندر عليه ولكنه أفهمنا انه رقدى قديم ، وليس حديث عهد بالنوم في المقاهي وهو يعرف أصول الرقدية وقوانينهم . والرقدي كما لا بد وان يعرف القارىء

بضم الراء وتشديدها وفتح القاف دون تشديد هـو مفرد راقد ويختص ذلك بمن تعود النوم في المقاهي، وهو اصطلاح لا تتنكر له اللغة الفصحى فيما أظن ، ونام عبد السلام ليلتها في موجة عارمة من الفرح ونسي في غمرة هذه الفرحة أن يقوم بالاجراءات الأحتياطية التي يتخذها لامتعته وحذائه ، ونمنا .. واستيقظت في الصباح الباكر على حركة قدوم العم حمزة بالقهوة واستيقظ عبد السلام وأدخل احدى قدميه في الحذاء وصرخ صرخة مفزعة طارت منها بقايا النوم مـن عيني ، واستيقظ لها كل من في المقهى من الناس وسألنا عبد السلام ما بك، ولكن اجاباته كانت مختلطة بالصراخ فلم نفهم شيئا ولكنا أدركنا ان هناك حدثا اصابه وسارعنا اليه ورفعناه إلى الكرسي فاذا بقدمه التي أدخلها في الحذاء يصب منها الدم وقد بدا عليها التورم والاحتقان ووجدنا في الحذاء عقربا ... وتجمع علينا الناس وفي السيارة الوحيدة الموجودة في المقهى في ذلك الصباح بعثنا عبد السلام إلى مستشفى اجياد لاسعافه ولم يشرب القهوة ولم يتمتع بها ، ومن مأمن يؤتي الحذر ... حيا الله صديقنا عبد السلام فلقد كان مصدر سرور حتى حينما يتعرض للأذى- وقاه الله كل سوء ...



قصر الحمراء

كان القوم من أجناس شتّى فيهم الأوربي من أقصى الشمال ، والأمريكي من وراء المحيط ، والهندي الوافد من الشرق ، والعربي القادم من الصحراء ، وكان فيهم الأبيض والأسود ، وما بين الأبيض والأسود من ألوان ، وكنا جميعا في غرناطة وعلى أبواب قصر الحمراء ، وقسمونا ثلاث فرق ، فريق يتكلم الأسبانية ، وثان يتكلم الأفرنسية ، وثالث يتكلم الأنجليزية وكنت وابنائي في الفريق الأخير . وعلى مدخل القصر العظيم الذي وصفه الدليل الأسباني بحق بأنه أعظم قصر في العالم ، وقف بنا في ساحة القصر وقال : انظروا هذا هو قصر الحمراء الذي بناه العرب فقير المنظر من الخارج حتّى ليكاد أن يكون قزما إلى جانب هذا القصر الذي بناه (شارل الخامس)

وأشار إلى قصر شامخ مشمخر البناء نحتت حجارته من صخور كبيرة ، وكان البناء جسيما بالفعل وشعرت بالغمزة في كلام الدليل الأسباني فكتمتها في نفسي ثم دخلنا إلى قصر الحمراء ، ووقف الجمع كله ذاهلا مشدوها ... وأخذ الدليل يصـــف القصر .. هذه قاعة السفراء وهنا مجلس الخليفة ، وهذا بهو الأسود ، وهذه مقصورات زوجات السلطان إلى آخر ما في القصر : العجيب من مناظر تسلب الالباب وأخذنا جميعا نشهد النقوش العربية الجميلة ، والنافورات العجيبة وأخذت أقــرأ وابنائي ما نقش على كل جدار في القصر من شعر عربــي رائع وشغلت عن الدليل حينا بما أرى ، وحينا بما أتذكر ، ثم التفت اليه وهو يقول ، هذا هو الفرق بين العربي والأروبي ، لقد شهدتم بناء الأمبراطور شارل الخامس لقصره بما ينبىء بعظمة البناء ولقد شهدتم هذا القصر ـ الحمراء ـ من الخارج فلم يكن فيه ما يدل على عظمة او فن ، ولكنكم تشهدونه الآن من الداخل وهو آية من آيات الفن الجميل . ثم أردف قائلا : ان العرب كسالى ولا يهتمون بالمنظر الخارجي ، وانما يهتمون بمسراتهم التي تتوفر في داخل القصور. ودون أن أدري تقدمت إلى السامعين وقلت على مسمع من الدليل ، انني أريد أن أسألكم :

لقد رأيتم أيها السادة قصر الأمبراطور شارل الخامس ورأيتم قصر الحمراء ، هل تفضلون ان تعيشوا بين جدران قلعة شارل الخامس ، أم في داخل هذه التحفة الجميلة التي نحن فيها الآن ؟ وقالوا جميعا بل في هذا المكان . والتفت إلي الدليل يقـــول: أأنت عربي يا سيدي ؟ قلت نعم ، ولو كان العرب كسالى لما بقوا في هذه الأرض ثمانمائة عام ...

الشعور بالزمن

كلما تصرم من عمر الزمان عام تلفت الناس مأخوذين وقالو : ما اسرع ما تمر الأيام .

ومشاغل الناس في زماننا هذا لا تدع لهم مجالا للشعور بوطأة الزمان وتطاول الأيام ، فقد تعددت مطالب الحياة وتنوعت المشاغل ، وانصرف الناس عن تعداد الأيام إلى الانغماس في أسباب الحياة ومطالبها . أما الزمان فهو الزمان لم تقل ساعاته ولم تختصر أيامه ، ولم ينقص من شهوره وأعوامه ، فلك يدور كما كان يدور منذ أن فطر الله تعالى الدنيا ، ورتب سير الأفلاك ، شمس تطلع كل صباح وتغرب كل مساء وليل تطول ساعاته أو تقصر حسب سير هذه الأفلاك فلا زيادة ولا نقصان . ولكن انشغال الناس بشؤون حياتهم سواء

أكانت هذه الشؤون جادة أو هازلة جعلهم لا يشعرون بمرور الزمن ، فاذا ما دار الفلك دورته وانقضى عام تلفتوا مأخوذين وقالوا ما أسرع ما انقضى العام ... ولعلنا — لو فكرنا لوجدنا ان وسائل العصر الحديث الذي نعيش فيه قد أطالت من عمر الزمن ولم تختصره فانها الآن تبلغ في ساعة ما لم تكن تبلغـــه في اسبوع بالباخرة ، وتستطيع ان تتحدث في دقائق مع مـــن تريد في أقصى الأرض بينما لم تكن تبلغ هذا من قبـــــل إلا بالرسائل التي تأخذ الأسابيع والشهور ، وكل هذا توفر في عمر الزمن ، فمن الحق على هذا الاعتبار الشعور بتطاوله لا بقصره ، ولكن انشغال الناس كما قدمنا وانغماسهم في اسباب الحياة جعلهم لا يشعرون بمرور الأيام . وان من نعم الله تعالى على عباده في هذا الزمان أن لا يشعر الناس بتطاول الزمن . فليس أكثر أملالا للنفس ولا ارهاقا للحس من الشعور ببطء الزمن وتطاول الايام . ولن يشعر بهذا الا انسان متبطل لا يجد من المشاغل ما ينفق فيه وقته فهو يحصي الدقائق والساعـــات فضلاً عن الليالي والأيام ، أو الشهور والأعوام . وكما أن التبطل يشعر المرء بتطاول الزمن فإن المرض إذا تطاول ، والداء إذا أعضل يشعر المريض بوطأة الزمن وثقل الأيام ونعوذ بالله من

بطالة تدعو إلى ملالة ، ومن مرض لا يرجى معه ابلال . وبعد فإننا نسأل الله تعالى وقد أهل هلال المحرم مؤذناً بعام هجري جديد أن يجعل هذا العام عام خير وبركة تعم المسلمين جميعاً في مختلف أقطارهم وديارهم ، وأن يجعل من مطالعه مطالع سعد واسعاد تجمع الكلمة وتوحد القلوب وتربط بينها برباط المحبة في ذات الله ، فنرى الشمل الشتيت وقد تجمع ، والقلوب المتنافرة وقد تآلفت ونرى فيه للإسلام لواء مرفوعاً ، وللخلق صوتاً مسموعاً ، وللعرب كلمة موحدة على ما فيه خير دينهم ودنياهم قولوا معي اللهم آمين .

* * *

كانت الحرب الجزائرية في عنفوان حدتها ، وكان في زيارتي بعض فضلاء المغرب العربي الشقيق من الجزائر وليبيا والمملكة المغربية ،وسألوني متى تزور الجزائر؟ وقلت دون تفكير : حينما يخرج الفرنسيون منها وتصبح خالصة للجزائريين . واراد الله لي قبل عامين أن أزور المغرب العربي ولم يكن في برنامجي زيارة الجزائر ، وكانت الحرب الجزائرية قد كللت بالنجاح واتفق الجزائريون والفرنسيون على شروط الهدنة في افيان ، وانهيت زيارتي للمغرب وذهبت إلى مكتب الخطوط الملكية المغربية في الدار البيضاء لحجز مقاعد السفر إلى تونس ، وقال

لي الموظف المختص وكان قد حضر إلى جده في حج مضى ، أن السفر من الدار البيضاء رأساً إلى تونس متعب لك ولمن معك فقد يستغرق يوماً كاملاً ، وسألني لماذا لا تزور الجزائر فتقضي بها يومين ثم تستأنف السفر إلى تونس فهي في منتصف الطريق تقريباً . وتحمست للفكرة فالجزائر قد نالت الاستقلال وليس أحب إلي من زيارتها في هذا الوقت بالذات ورتبت أمري على هذه الزيارة ووصلت إلى مدينة الجزائر في ضحى يوم من أيام الصيف وحينما هبطت الطائرة في مدينة وهران رأيت الألوف من الفرنسيين في المطار يتدافعون للسفر إلى فرنسا ، ورأيت مثل ذلك في مدينة الجزائر نفسها واستقربنا المقام في فندق سان جورج في الريف فوق الجبل المتموج بالخضرة والثمر .. وإلى جانب الغرفة التي نزلت بها في هذا الفندق كانت هناك لوحة من النحاس الأصفر مثبتة أمام احدى الغرف ومكتوب عليها بالإنكليزية ، ما يدل على أن الجنرال ايزنهاور قائد الحلفاء السابق في أيام الحرب العالمية الثانية ورئيس الولايات المتحدة السابق وقائد إنكليزي آخر قد نزلا بها ، في وقت من الأوقات . وكانت الجزائر في فرحة النصر وكان الإفرنسيون المقيمون بها في رعب وهلع ، وهبطنا إلى المدينة نجوس خلالها ونشاهد

معالمها ورأيت الكثير من المتاجر مقفلا وقد ثبتت عليها أوراق تدل على سفر أصحابها وسألت صاحب السيارة الجزائري الذي كان معي لماذا تقفل هذه المتاجر أبوابها حتى كأن المدينة كلها في إجازة ، قال لي هؤلاء الفرنسيون أدركهم الهلع فتركوا متاجرهم وذهبوا إلى فرنسا ... ولقد رأيت آثار هذا الهلع فيما بعدما أدهشني فقد بقينا ثلاث ساعات في مطار الجزائر ونحن نشهد في كل دقيقة طائرة تسافر إلى نيس ، وأخرى إلى طولون، وثالثة إلى مرسيليا ، ورابعة إلى باريس وكأن الحرب على الأبواب وكانت بالفعل هذه هي حرب الاستقلال .

لقد ذاق الجزائريون الوان الويل من كبرياء الفرنسيين واذلالهم ولقد دارت الدائرة عليهم فهم يخشون الانتقام ، وقلت لأحد الجزائريين يومها وكان الخلاف قد ظهرت بوادره بين قادة الجزائر أن العرب جميعاً في عيد بانتصاركم فلا تشوهوامن جمال هذا العيد باختلافكم.فقال بلهجته الجزائرية المحببة ، إن لم يتصالحوا بالملاحة فسيتصالحوا بالقباحة . وأعجبتني الكلمة المعبرة عن إرادة شعب الجزائر ... وخلوت إلى نفسي وذكرت ما دار في مكتبي من حديث قبل عامين من هذه الزيارة حينما قلت لفضلاء المغاربة لن أزور الجزائر

حتى تخرج منها فرنسا ... لقد تحقق هذا دون اعداد سابق وكانت كلمة صادرة من القلب استجاب الله لها وهو القريب المجيب .

وعشية مغادرتي للجزائر قلت لأحد سائقي التاكسي إذهب بي إلى فندق السان جورج،وسألني في استنكار أنازل هناك أنت ؟ قلت نعم . قال : لقد كان هذا الفندق أكبر مركز للمستعمرين . وقلت له : ألا يعجبك الآن أن ينزل فيه زواركم من العرب فيعهد الاستقلال ؟ فقال بلى والحمد لله .

الجبل الابيض

رأيت الجبل الأبيض لأول مرة من شرفة غرفتي بمدينة مونترية بسويسرا فرأيت جبلاً يكسوه الثلج في وقدة الصيف ولم أكن أتصور ما لهذا الجبل من روعة تأخذ باللب وتستولي على القلب حتى أتيح لي أن أراه عن كثب بل وأن أصعد إلى أعلى ذروة فيه ، وقبل سنتين كنت في جنيف وعلمت أن هناك رحلة تنظم لزيارة الجبل الأبيض عبر فرنسا ، تبدأ في الصباح الباكر وتنتهي عند الغروب ، وذهبنا مع الذاهبين في حافلة جمعت أجناساً شتى من السائحين وما هي إلا دقائق حتى كنا قد دخلنا الأرض الفرنسية وتوقفنا قليلا ثم واصلنا السير إلى بلدة اسمهـــا شمونكس في فرنسا خـــلال أرض مخضرة وحدائق ناضرة زاهرة ووصلنا إلى الغابة بعد ساعة أو تزيد

ووقفوا بنا عند بناء يشبه محطات السكك الحديدية ، ووجدنا الكثير من راغبي الصعود إلى الجبل ينتظرون دورهم في هدوء ، وتغيب دليلنا بعض الوقت ثم أشار إلينا فتبعناه إلى داخل البناء وشهدت الجبل لأول مرة شاهقاً عظيماً ، ويصعد الصاعدون إليه في عربات ترفع بالأسلاك الحديدية الضخمة ، وهذه العربات تشبه السيارات الكبيرة ولها نوافذ زجاجية كبيرة من جميع جوانبها ويقف الصاعدون إلى الجبل أمام هذه النوافذ ليشاهدوا الجبل وما يحيط به من مناظر رائعة وهم في مأمن من الجو القارس ، ودخلنا إلى العربة واتخذنا أماكننا بجوار النوافذ وما هي إلا دقائق حتّى اكتظت العربة بمن فيها من الناس فضاقت بهم وضاقوا بأنفاس بعضهم البعض ، واستمرت العربة في الصعود تقابلها عربة أخرى هابطة فكأن التوازن يتم بين العربتين كما يتم في كفتي ميزان ... وصعدنا أو صعدت بنا العربة تشدها هذه الأسلاك المتينة ولم يفكر أحد فيما قد يحيق به في هذه الرحلة من اخطار ... فلقد انصرف الكل إلى هذه المشاهد الرائعة البيضاء في هذا الجبل والأودية وكلما ارتفعت العربة صعداً في السماء كلما ازداد المنظر روعة وجلالا ، وأخذ الصاعدون ومنهم أبنائي ما شاءوا من صور للمنظر العجيب

الفريد ووصلنا أخيراً إلى نهاية المطاف على علو ما يزيد عن أربعة آلاف متر ووقفت العربة في موضع محفور في الجبل ثبتت تحته دعائم حديدية راسخة الأركان مثبتة البناء . وفتحت أبواب العربة ودخلنا إلى مايشبه القبو وقد أضيء بالكهرباء وسرنا في داخله بعض الوقت ثم خرجنا إلى سطح الجبل الأبيض وفوق أعلى ذروة فيه وكان البرد قارساً وقد استعد له بعض السفر بالمعاطف الثقيلة والجوارب الصوفية ، والفراء السميك ، ولن يستطيع القلم أن يصف المنظر فلقد كان جليلاً – مهيباً ... قمته بيضاء تشرف على أودية سحيقة كسيت كلها بالثلوج ، وظهرت بعض الأعواد الخضراء من خلال هذه الثلوج تذكرك بأن هذه الثلوج ليست في السماء وإنما على الأرض فوق الجبال .. ولقد قيل لنا أن بعض السائحين من هواة الانزلاق على الجليد يهبطون إلى هذه الأودية لممارسة رياضتهم المحببة ، ولكني لم أشهد يومها أحداً هناك . وشعرنا بالبرد بعد أن قضينا بعض الوقت نمتع النفس والبصر بهذه المشاهد الرائعة العجيبة فدخلنا إلى غرفة في أعلى الجبل محصنة فوجدنا فيها الدفء الجميل وتناولنا شراباً ساخناً أعاد إلى أجسامنا ما فقدته من حرارة ودفء واشترى السائحون من حانوت صغير هناك بعض الهداياالتذكارية

والصور للجبل ومناظره ، ثم قيل لنا لقد آن أوان الهبوط ...
وعدنا إلى العربة فهبطنا بها إلى الأرض وكنا نرى ما فيها من
عربات ومعالم وكأنها الخيال فما زالت تكبر كلما تدنينا من
الأرض حتى هبطنا إليها بسلام . وذهبوا بنا إلى فندق هناك
للغذاء وسألت أحد الفرنسيين عن المدة التي استغرقها إنشاء
هذا المشروع فقال تسعة أعوام ، والجبل هنا في أرض فرنسا
وهو من الناحية الأخرى في إيطاليا ولقد كنا نعمل بالتعاون
مع الإيطاليين طيلة هذه الأعوام حتى تم المشروع ولم تحدث
حادثة واحدة منذ افتتاح المشروع حتى اليوم ، ولقد جلب لنا
كثيرا من السائحين ولا يزالون يتكاثرون في كل عام .

الرّحلة الى الله

الذي يريدون لمهد الإسلام ومأرزه أن يتخلى عن بعض ما يتمسك به من جوهر الإسلام ومظهره ـ باسم التطور أو مسايرة العصر ـ عليهم أن يفتحوا أعينهم وآذانهم جيداً ليروا بأعينهم ويسمعوا بآذانهم ما يغني في الرد عليهم أفضل غناء .

ليرفعوا رؤوسهم إلى السماء كلما أزت في الجو طائرة ، وليصيخوا بآذانهم كلما صفرت في البحر باخرة أو هدرت قوافل السيارات عبر الصحراء ، ولينظروا بأعينهم إلى هذه الأمواج المتلاحقة من المسلمين تهبط من جو وبحر . أو تقطع الفيافي والقفار من شرق وغرب .. ما الذي أقدم هذه المائة ألف وعشرات ألوف غيرها من شتى أقطار الأرض ومن مختلف القارات ، وما الذي حدا بمئات الوف أخرى من أبناء هذه

المملكة الشاسعة والتي تبلغ مساحتها مساحة أوروبا الغربية ، أن يتركوا ديارهم قادمين إلى هنا.. إلى مكة المكرمة، إلى الكعبة، إلى عرفات .

ولماذا تستقبل مكة وحدها هذا الحجيج منذ أقدم العصور من عهد أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام؟ أليس دافع هذه الرحلة الشاقة هو العقيدة أيا كانت في جاهلية او اسلام ؟ ؟ نعم بهذه العقيدة الإسلامية تحيا هذه البلاد وعليها تبقى ما بقيت الحياة .

والحج من دون العبادات رحلة بالروح والجسد ، فهي رحلة إلى الله ، يتقيد فيها الحاج بآداب معينة ، لا تقف عند مظهر التجرد والبساطة اللتين يتميز بهما لباس الحاج وإنما تصل إلى حد التجرد بالروح حينما تحرم على الحاج ما يتمتع به في غير الحج من أسباب المتاع المباح . ويصل هذا التجرد إلى ذروته حينما يحظر على الحاج حتى اللغو من الكلام فلا جدال في الحج. وبالتقيد بهذه الآداب المعينة يؤدي الحاج مناسكه ابتداءاً من تكبيرة الأحرام وانتهاءا بطوف الوداع ، هذه الرحلة إلى الله بآدابها وشعائرها فرضها الله تعالى في العمر مرة واحدة ووقت لها زمانا ومكاناً ، وقد اختار جلت حكمته أن يكون مكانها هنا

في هذه البلاد الطاهرة المقدسة وبجوار بيته المشرف الكريم واختار زمانها في شهر ذي الحجة من كل عام فهي تكون حيث كان مدار الفلك من هذا الشهر في العام ، وتكون في صيف وفي شتاء كما تكون في ربيع أو خريف ، وتتغير الفصول ، ولا يتغير الزمان كما لا يتبدل المكان وسبحان الباقي بلا تغيير ولا انتهاء .

اختار الله تعالى مكانها في هذه الصحراء الفسيحة من عرفات والتي أصبحت تضيق بجموع المسلمين في كل عام ، وجعل طريق الحاج في هذه البلاد مارا بجدة ــ باب الحرمين الشريفين وأصبحت زيارة المسجد النبوي الشريف ، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتبطة بالحج فقلما يفد الحاج إلى مكة ولا يزور المدينة بعد حجه أو قبل ذلك بأيام .

وشرف أهل هذه البلاد جميعاً بجوار بيته ومسجد نبيه العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، وشرفهم كذلك بخدمة الحجيج فهم بحكم هذا الجوار وبحكم هذا التشريف العظيم ملزمون بالمحافظة على آداب الإسلام في الجوهر والمظهر ، في السر والعلن ولقد كان هذا الحج ومازال مورداً إقتصادياً هاماً لهذه البلاد لم ينقطع مدده منذ ألوف السنين ، ولقد كان هذا

المورد اقتصادياً بنص القرآن ، مسجلة في دعوة الخليل إبراهيم أبي الأنبياء عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم .

رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من كل الثمرات ..

وهذا الحج الذي يجمع مئات الألوف من الناس من كل جنس ولون من كل قطر ومصر إنما اجتمعوا هنا على كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله — اجتمعوا على وحدة في العقيدة سمت فوق كل اختلاف ، وقضت على كل تباين ، ووحدت بين القلوب في ذات الله . فأي مظهر يطلب في هذه البلاد لا يتفق مع صفاء هذه العقيدة وجوهرها . وأي تطور يرجى يخالف الإسلام في تعاليمه السماوية الحكيمة لا يمكن إلا أن يكون نكسة ولو لبست ثوب ما يسمونه تطوراً ، أو تسمت بما أراد له من أسماء، ولعمري إن نحن أخذنا هنا بما يسمونه تطوراً فترخصنا وتبدلنا وسمحنا للشيطان أن يقودنا ، وللفتنة أن تتبرج في ديارنا وشواطئنا ما الذي يدفع هؤلاء المئات الوف من الحجيج إلى القدوم إلى بلادنا بعد اليوم ؟

إنهم يفدون إلينا هاربين بأرواحهم وأجسامهم من رجس

الفتنة ، ومفاسد الزمان فكأنهم بهذه الوفادة إنما يتطهرون في هذه الأرض المباركة مما حل ببلادهم من شرور الإنحلال ومباذل العصر وهم يجدون في جوار البيت الكريم هذا الطهر الذي يعيد إلى الأرواح نقاءها وشفافيتها واتصالها بالله . وأنا لنحمد الله تعالى أن حمى هذه البلاد من كثير من هذه المفاسد والفتن ونسأله جلت قدرته أن يديم عليها هذه النعم وأن يرد عنها كيد الكائدين .

إسكان الحجيج

كما أن وسائل نقل الحجيج تطورت لدينا من الجمل إلى السيارة فإن طريقة اسكان الحجاج يجب أن تتطور كذلك تطوراً يساير النهضة العمرانية التي تعم مدن المملكة ، وخاصة في كل من مكة والمدينة وجده ، ومدينتي حجاج البحر والجو في جدة يمكن اعتبارهما نواة لهذا التطور مع وجوب إدخال كثير من الإصلاح والتنظيم على هاتين المدينتين ، بحيث تعالج مشكلة التجمع فيهما بعد الحج وهي أكبر مشكلة تجابه المسؤولين والحجاج أنفسهم كل عام . وقبل الخوض في وسائل هذا التطور يجب أن نواجه الحقيقة بشجاعة .. إن مدينة حجاج البحر تتقاضى من الحاج عشرة ريالات مقابل اسكانه مدة غير محدودة في القدوم والإياب مع توفير الأضاءة والماء ، وإذا

قدرنا متوسط ما يقضيه الحاج في هذه المدينة أربعة أيام في الذهاب والإياب كان مقدار الأجر اليومي للحاج الواحد في هذه المدينة ريالين ونصف ولا أظن أن هذا الإجرالتافه يسمح بأكثر مما تقدمه هذه المدينة لسكانها فأي فندق ولو كان من الدرجة الخامسة لا يمكن أن يقل أجره في زمن الموسم عن عشرة ريالات للمبيت فحسب، ويمكننا أن نقيس بهذا المقياس لمدينة حجاج الجو التي يقضي الحجاج فيها سبعة أيام فأكثر انتظارا لتوفر الطائرات التي تنقلهم إلى بلادهم وغالباً ما تضطرب مواعيد هذه الطائرات لسبب أو لآخر كما هو معلوم ، فمن الواجب البدء أولاً بالتشجيع على إيجاد مساكن للحجاج في كل مدينة من مدن المملكة على مستويات مختلفة تبدأ بأجر لا يقل مثلاً عن خمسة ريالات للغرف الجماعية لليلة الواحدة ويتدرج إلى عشرة فخمسة إلى أن يصل المستوى إلى الفنادق الموجودة بدرجاتها الأولى والثانية والمقرر أجر النزول فيها من المسؤولين . فينزل الحاج في الفندق الذي تسمح له امكانياته بالنزول فيه مبتدئا بمدينة الحجاج ومنتهياً بقصر الكندرة وما في مستواه . ولكن المسألة هي كيف يتم الإسكان وخاصة للحجاج الذين

لا تتوفر لديهم الإمكانيات المادية للنزول في أي فندق مهما بلغت درجته من الإنخفاض ، وهنا نحتاج مرة أخرى إلى الشجاعة لمواجهة الموضوع . فمن الواجب أن يتجه التفكير الجدي إلى إعلان خطة حازمة تتعلق بالحج تشتمل على أجور الخدمات العامة وهي الإسكان والإرشاد والتنقل، ويشتمل الإسكان على أجور السكن في كل من جده ومكة وعرفات ومنى والمدينة المنورة فجدة ابتداء من قدوم الحاج من بلده إلى حين مغادرته لها . والإرشاد يتلخص في اجور الخدمات للمطوفين والأدلاء والوكلاء في كل من جده ومكة المكرمة والمدينة المنورة ، والتنقل هو أجور السيارات المقررة لتنقل الحاج لأداء المشاعر . هذه الإجور جميعها يجب أن تحاط بها الحكومات علماً قبل وصول الحجاج ويجب أن تتقاضى الحد الأدنى منهم باسم وزارة الحج التي تتولى هي بدورها توزيعها على الجهات ذات العلاقة وبهذا يكون الحاج قد دفع أجرة السكن سلفاً للمدة المقرر بقاؤه فيها لأداء المشاعر، وهذه الأجور نفسها مع ضمان استلامها سلفاً تساعد المسؤولين على إيجاد المساكن المختلفة بواسطة المطوفين في مكة المكرمة والإدلاء في المدينة

المنورة ، وبواسطة مدينتي الحجاج في جده ، كما يمكن للمسؤولين تحديد مواصفات السكن ومشتملاته وتحديد ما تستوعبه الغرف الجماعية واشتراط تجهيزها باسرة خفيفة مثلاً ، كما أن في الوسع تقسيم مدينتي الحجاج الموجودتين حالياً في جده إلى فنادق متعددة وتأجير بعض أقسامها على وكلاء الحجاج أنفسهم أو على خلافهم وخاصة إذا تم تشييد المطار الجديد وما يتعلق به من مرافق خارج مدينة جده .

قد يقال أننا بهذا نضع بعض القيود على الحج وجوابنا على ذلك أن الحج شرط الإستطاعة ونحن في عصر تطورت فيه وسائل الحياة ومرافقها ، وما دام هذا التطور إلى الأفضل فهو ضروري بالنسبة للحجاج أنفسهم وبالنسبة لبلادنا وسمعتها واقتصادها أيضاً .

من الخير للحاج أن يتأخر عامين أو ثلاثة حتى تتوفر له الاستطاعة فيؤدي حجه باسلوب يضمن له الراحة ولمن يقوم على شؤونه الأجر المعقول . إذا فعلنا هذا تكون هذه هي بداية الطريق للاستفادة من الحج كمورد ديني وسياحي عظيم ، ولتهيئة وسائل الراحة الضرورية لمئات الألوف من الحجيج

كل على قدر إمكانياته وبحسب ما يريد .

أن الدولة تنفق على الحج عشرات الملايين في كل عام ولكن من يقومون على خدمة الحجيج يجب أن يلاقوا ما يتفق وما يبذلونه من خدمات ، وبوسع الدولة أن تساعد على تحقيق هذا الأمر بالتنظيم والتقنين ، والأمر كما قلنا يحتاج إلى الشجاعة لمواجهته بما يجب له من قرارات .



المطوفون والسماسرة

علاقة المطوفين بالحجاج ليست في حاجة إلى تعريف ، ولكن القليل من الناس من يعرف المجهود الضخم الذي تبذله هذه الطائفة المكافحة من المواطنين في خدمة الحجاج وخاصة في أيام الحج ، ولقد أتيح لي أن ألمس شيئاً من هذه الجهود بحكم اتصالي بأعمال المطوفين في موسم الحج ، ولقد لمست جانب هذا المجهود الضخم المأساة التي يعيشها بعض المطوفين فيخرجون من الموسم بالدين الثقيل ، بعد الجهد والكد ، والسهر والنصب ، هذه المأساة تتلخص في تسلط طائفة من المرتزقة الأجانب يطلق عليهم السماسرة وهم الذين يحلبون الحجاج باسم المطوفين فيستولون على النصيب الأعظم من الخدمات الخاصة بهم لقاء الدعاية للمطوف لدى الحجاج وذكر اسمه في السؤال ، ويبوء المطوف بأوكس نصيب مكتفياً بالعدد الضخم الذي

يهتف باسمه لدى السؤال ، وبفخر كاذب ان استمتع به بضعة أيام فهو يلعق العلقم من جرائه طيلة العام . ولعل من أكبر الأسباب التي تقطع دابر السماسرة أو تحد من شرورهم هو أن تتولى الدولة استلام اجور الخدمات الخاصة بالحجاج سلفاً من الحجاج أنفسهم بموجب ترتيب مسبق يوضع لذلك بالإتفاق مع الحكومات الإسلامية ، كما قلنا في حديثنا السابق عن اسكان الحجيج ، ثم يؤدى إلى المطوفين بواسطة رؤسائهم . — هذا الترتيب يسمح للمطوف أن يكون هو صاحب السيادة في موقفه من السمسار فتكون يده هي العليا . أما الوضع الحاضر فيعكس الموقف تماماً إذ يتولى السمسار تسلم الخدمات من الحجاج ، وإعطاء المطوف منها ابخس نصيب.

قد يقول قائل أن المطوفين الذين يتعاملون مع السماسرة إنما يقومون بهذا التعامل مختارين ، وردي على ذلك أنهم محكه مون لعوامل كثيرة قد لا يستطيعون التخلص منها فمن الواجب مساعدتهم على تصحيح موقفهم بإتاحة الفرصة لهم ليكونوا في الموقف السليم .

ونظرتي إلى الحج أنه مورد اقتصادي عظيم ومن حق الدولة بل من واجبها حياطة هذا المورد بكل الضمانات التي تحقق للعاملين فيه أن يأخذوا حقهم كاملاً غير منقوص .

الصدق منجاة

كنت أعمل سكرتيراً خاصاً لصاحب المعالي الشيخ محمد سرور الصبان في مكة المكرمة وكانت وظيفته الرسمية هي مدير المالية العام ، وكانت وزارة المالية هي كل شيء في الدولة في ذلك الحين . وكان الشيخ محمد سرور يشرف على أعمال الحج صغيرها وكبيرها في ذلك الوقت وخاصة فيما يتعلق بترحيل الحجاج إلى عرفات حتى عودتهم إلى بلادهم ، وكان صاحب الجلالة الملك عبد العزيز –طيب الله ثراه– يقيم حفلتين كبيرتين في يوم ٦ و ٧ ذي الحجة ، أولاهما لأعيان الحجاج من العرب والثانية لأعيان الحجاج من الأجناس الأخرى الذين لا يتكلمون العربية ، وكانت بطاقة الدعوة للحجاج توزع في الأغلب الأعم من طريق مكتب الشيخ محمد سرور ، وكانت الطلبات تصل

إلينا من المطوفين ومن الأفراد بأسماء الشخصيات المرغوب في دعوتها إلى هاتين الحفلتين ، وكنت أتولى أنا كتابة الأسماء وإرسال بطاقات الدعوة إلى المدعووين إما عن طريق مطوفيهم أو معارفهم ، وكانت بطاقة الدعوة للحفلتين واحدة ولا تختلف إلا في التاريخ ، وفي غمرة مشاغلي الكثيرة بعثت بطاقات الدعوة للحجاج المدعوين من العرب والهنود والجاويين بتاريخ واحد ولم أنتبه لهذا الخطأ إلا قبيل موعد الدعوة بساعة أوساعتين ، وهالني الأمر وأخذت أتصور ما سيحدثه هذا الخطأ من ارتباكات كثيرة ، حينما يصل المدعوون من الحجاج غير العرب فلايجدون لهم مقاعد، وربما لا يجدون لهم مترجمين. ولم أتردد لحظة فذهبت إلى الشيخ محمد سرور وقلت له لقد أخطأت ... ورفع إلي رأسه مستفهماً، قلت: لقد أرسلت بطاقات الدعوة للحجاج العرب والهنود وخلافهم بتاريخ واحد .. وسيحضرون جميعاً إلى القصر بعد ساعة ولا بد من تدارك الأمر. فبدت عليه الدهشة وقال لائماً: كيف يقع مثل هذا الخطأ؟..

قلت: هل الأحسن أن أصارحك بالأمر وقد تنبهت إليه ، أم أكتمه فيقع ما لاتحمد عقباه. قال: بل أحسنت، وفكر لحظة ثم قال: اتصل برؤساء المطوفين للجاويين والهنود واخبرهم أن

موعد حفلة حجاجهم غدا ولا عبرة بالبطاقات وعليهم أن يتصلوا هم بالمطوفين من قبلهم ... وتنفست الصعداء بعد أن أديت هذه المهمة ، وحمدت الله تعالى أن ألهمني المبادرة بالاعتراف بالخطأ . وكان الصدق هو سبيل النجاة من هذا المأزق العظيم .



النجاح والحظ

بعض الناس تضيق نفوسهم بالنجاح يدركه الآخرون ، فينسبون هذا النجاح إلى الحظ الأعمى مرة أو إلى المحسوبية تارة، أو إلى الإنحراف تارات ،وليس كل نجاح مرده الحظ أعمى كان أم بصيراً ، وليس كل منصب مرده المحسوبية ، ظالمة أو عادلة ، وليس كل ثراء مرده الإنحراف في أي صورة من الصور جاء .

والنجاح لا يمكن أن يكون إلا نتيجة جهد ودأب ، وتفكير وتنظيم، ولنضرب لذلك المثل الذي يوضح الفكرة، فلعل فيها العبرة لمن اعتبر .

لنفرض أن الثراء هبط عل إنسان بطريق الوراثة التي تجري المقادير فيها بما لا يخطر لأحد على بال ، أو بسبب من هذه

الأسباب التي تشبه الخيال فاصبح الرجل ثرياً بين يوم وليلة ، هل يستطيع هذا المحدث الثراء أن يحتفظ بالثروة وينميها باستثمارها في أحسن وجوه الإستثمار ، فيحتفظ بما هبط عليه من نعمة يقيم عليها أساساً جديداً لحياته ومستقبل أبنائه ، أم ينفقها هدراً ، ويبددها بطرا فتتسرب من بين يديه كما يتسرب الماء من إناء مثقوب ؟

هنا تظهر الموهبة الكامنة في كل إنسان فإن كان رجل عمل وتفكير استطاع أن يحتفظ بالثروة وأن ينميها وأن يجعل منها نعمة من النعم ولا يكون النجاح هنا مجرد حظ ، بل يكون جهداً مشكوراً وعملاً مبروراً وإن كانت يد الحظ فيه لا تنكر ولا تعاب .

ومثل آخر في دنيا المناصب ومجالاتها :

لنفرض أن الإختيار وقع على فرد من الناس ليشغل منصباً خطيراً أو ليسند إليه من مهام الأمور ما يحتاج إلى القدرة والكفاءة وحسن التنظيم . وسواء أكان هذا الإختيار مرده حسن الظن بكفاءة الرجل وقدرته ، أم كان مرده الرغبة في جر النفع إلى الصديق أو القريب أو غير هذا وذلك من أغراض . نقول أياً كان الغرض الذي دفع هذا الرجل ليتقدم الأقران فإن النجاح

فيما أسند إليه من عمل منوط بكفاءته وحسن تصريفه للأمور ، مرتبط بطريقة مواجهته للمشكلات وما يقابلها من حلول ، فإن أثبت الرجل أنه أهل للاختيار كان هذا بشيراً يفتح الآفاق الواسعة أمامه في كل مجال ، وإن قعدت به همته أو هبطت به ذمته ، كان هذا إيذانا بالخمول بعد الظهور ، وبسوء السيرة بعد حسن الاحدوثة .

والانحراف أياً كان سبيله في ثروة أو وظيفة ، في منصب أو عمل ، سينكشف مهما أسدلت عليه الحجب ، ومهما طالت به الأيام ، وهو ان سلم مرة فلابد من أن تقع العثرة وتنكشف السوأة ونعوذ بالله من سوء المنقلب ، ومن شتات الأمر بعد اجتماع .

ونعود الآن إلى مفتتح الحديث ، لنفسح صدورنا للآخرين، ولنرحب بالنجاح والناجحين ، ولنعطهم الفرصة ليثبتوا أهليتهم كما أفاء الله عليهم من نعم ، ولا نتعجل عليهم الأحكام فالمال في يد السفيه ضياع وهو في يد الرجل الراشد عقار وضياع ، وعمل ينفع الناس ، والمنصب في يد الرجل الحازم إنجاز وتيسير وهو في يد الخامل عجز تكشفه الأيام ، وكم من رجال أحسن بهم الظن فتكشفوا عن عجز وتقصير . وكم من نكرة واتته

الفرصة فجاء بما يعجز عند الاقران . ولنفرح بنجاح الأصدقاء كما نستبشر بنجاح البعداء فقد يكون الخير كامناً في بعض النفوس تظهره الفرصة السانحة فينفع به الناس .

بنايـة مطـار الظهران

مداخل المدن هي عناوينها والكتاب يقرأ من عنوانه ، والمطارات والموانيء والمداخل البرية للمدن من أهم ما تعنى به الدول حتى أصبحت مباني المطارات في معظم الدول موضع تفاخر وتسابق في المظهر والمخبر ولا غرو فالطائرات اليوم هي أحدث وسائل السفر وأجداها وأكثرها شيوعاً واستعمالا والمطار أو بنايته على الأصح هي الباب الذي يدخل منه الوافد إلى المدينة ، ولقد سعدت حقاً بما شاهدته في مبنى الإستقبال بمطار مدينة الظهران .

إن هذا المبنى يمكن اعتباره تحفة من التحف المعمارية بحق فلقد بني على الطراز العربي الجميل وتوسطته حديقة جميلة منسقة أجمل تنسيق وشيد في وسط هذه الحديقة نصب سابق

الإرتفاع يعلن شعار الدولة ، والمبنى نفسه مقسم إلى قسمين خصص أحدهما لاستقبال القادمين من خارج المملكة والمغادرين لها ، وخصص الآخر لاستقبال القادمين من الداخل والعائدين إليه ، وكلا المبنيين مكيف الهواء وله أبواب بلورية تفتح تلقائياً وتقفل كذلك ، ومستوى النظافة في داخل المباني حسن للغاية باستثناء دورات المياه في مبنى الإستقبال الداخلي فهو في حاجة إلى شيء من الرقابة ، وما عدا ذلك فكل ما في المطار جميل ومنسق ونظيف ، ولقد وددت وأنا أرى العمل الآن يسير في مبنى مطار الرياض ، والتفكير جار في نقل المطار في مدينة جده إلى خارج العمران أن نتخذ من مبنى مطار الظهران انموذجاً يسار عليه في مباني المطارات الجديدة مع تزويد كل مطار بما يحتاج إليه حسب حاجة المدينة التي سيشيد بها فمن المعلوم أن ما يحتاجه مبنى مطار جده غير ما يحتاجه مبنى مطار الرياض أو الظهران ، لأنه سيستقبل عشرات الألوف في موسم الحج ، والمرافق التي يجب أن تضاف إلى هذا المبنى لاسكان الحجاج والهيئات المتعلقة بأعمال الحجيج كثيرة ومتعددة ، ولكني أرجو أن نتخذ من مبنى مطار الظهران المتكامل بالنسبة للمدينة قاعدة متبعة، فما أجمل ونحن بلد عربي وإسلامي أن نتبع

الطراز الإسلامي والعربي في مبانينا وخاصة في مداخل المدن وعناوينها ، والأجمل من كل هذا أن نحافظ على بقاء هذه المباني سليمة ونظيفة وسارة للقادمين والمسافرين على السواء .



اللغــة وطــن

كانت أولى رحلاتنا إلى أوروبا ، لم نتقيد فيها بخطة سير ، ولم نسر على منهاج ، نقيم ما طابت لنا الإقامة ، ونرحل ما تيسرلنا الترحال ... فمن الجنان الفيح في سهول إيطاليا ، إلى القنوات الحالمة في خليج البندقية ، ومن أطلال بومباي في روما ، إلى روائع الفن في الفاتيكان ، ومن جزيرة كابري الرابضة فوق ثبج البحر ، إلى المرتفعات الخضراء حول بحيرة كومو في الشمال ... مناظر تستهوي القلب وتفتن الألباب . دخلنا إيطاليا إلى سويسرا فأقمنا بجنيف ومونترية على شاطيء بحيرة ليمان وصعدنا في الجبل حتى سان سير في الحدود الإفرنسية السويسرية ، ثم ارتحلنا إلى ألمانيا بالقطار فنزلنا بفرنكفورت وأقمنا بها ما شاء الله أن نقيم ، ثم غادرنا ها إلى برلين فرأينا

برلين الشرق ، وبرلين الغرب ، رأيناهما في ليل ، ، وفي نهار ، وشهدنا الفارق العظيم بين نظام ، ونظام ، وان أنسى لا أنسى منظراً شهدته في برلين الشرقية في ضحى يوم من أيام الجمعة ، كان الشارع ممتداً عريض الجانبين وقد شيدت فيه العمارات على ارتفاع واحد ، وعلى طراز واحد في البناء ، وكان الشارع يسمى ستالين افنيو ... وعبثاً حاولنا أن نعثر على انسان واحد في هذا الشارع الطويل الممتد... كأنما نزلت بالمدينة نازلة لم تبق فيها على أحد .. عمار أشبه بالخراب ، وحياة كأنها موات ...

وأخذنا حظنا من الترحال فاعتزمنا العودة إلى الوطن بعد أن بعدنا عنه ما يقرب من شهور ثلاث ، ولم نجد أماكن بالطائرات فلقد كان يجب علينا أن نحجز مقاعدنا بها قبل أسابيع وبدأت طلائع الجو البارد في سماء ألمانيا ، وضقنا ذرعاً بالإقامة الجبرية فيها .. ثم قيل لنا عودوا إلى فرنكفورت لتأخذوا منها طائرة الشرق الأوسط إلى بيروت ، وقفلنا عائدين ... واحتوتنا الطائرة وأضيئت الأنوار ودارت المحركات .. وانساب صوت المضيفة اللبنانية يصافح الأسماع ... طيران الشرق الأوسط يرحب بكم على متن طائرته الفايكونت ... وصاح أولادي

من أقصى – الطائرة في صوت واحد مليىء بالفرحة .. مشحون بالعاطفة بابا .. يريدون أن أشاركهم الفرحة بالوطن يحتضن أسماعهم كلاماً عربياً ... ونظرت إلى زوجتي وقد اعترتها رجفة باغتة ، وقالت في صوت مرتعش النبرات ، ما أجمل هذا الصوت وما أحلاه ... ولم أستطع جواباً ، فلقد كنت مختنقاً بالعبرات ... وأفقت إلى نفسي بعد أن سرى عنا ما غشينا من شجن وتساءلت أي سحر هذا الذي ضرب علينا فأرعشنا كأنما مسنا تيار من كهرباء ، ارتجف له قلب الصغير والكبير !

ولم أتكلف الإجابة فلقد كانت بسيطة لا تحتمل التفكير . إنها اللغة ... صافحت أسماعنا ونحن مغتربين ففعلت بنا ما لم تفعله الطائرات ولا الصواريخ ... جمعت لنا الماضي من تاريخنا ، والحاضر من حياتنا ، وكشفت لنا عن مكاننا من المستقبل في ومضة واحدة ، كأنها رجفة البرق – بين السحاب .

شعرنا ونحن في الغربة في قلب أوروبا أننا قد عدنا إلى أرض الوطن ، وشعرنا ونحن في الطائرة كأنما احتوتنا الدار وتلاقينا مع الأهل والأحباب .

لحظة واحدة مزقت فيها كل الحجب ، وازيلت فيها كل

الحواجز ، وانطوت فيها كل الأبعاد ... ولهذا كانت الفجأة بها أكثر من أن تحتملها القلوب ففاضت عواطفاً وأشجانا ...

ليت شعري هل يعقل الناس هذه الوشائح التي تربط اللغة بالقلب فتجعلها وطناً لا يتقيد بحدود الأوطان ، ولا يتأثر بالساعات التي تتأثر بها الأزمان ؟ .

ذكريات عن عبد الله باحمدين

لم يتح لي الاطلاع على الكلمة الطيبة التي كتبها الصديق الأستاذ عبد الله عريف عن الصديق المرحوم الشيخ عبد الله باحمدين ولكن أحد الاخوان الكرام أخبرني عنها بعد عودتي من رحلة قصيرة ، وها أنا أكتب هذه الكلمة استجابة لدعوة الأستاذ العريف ، وتحقيقاً لرغبة قلبية نحو صديق من أوفى الأصدقاء ، ورجل من خيرة الرجال تغمده الله بالرحمة والرضوان .

كان المرحوم الشيخ عبد الله باحمدين طرازا فريداً فيمن عرفت من الرجال ، وهبه الله الكثير من الصفات التي يهبها للأفذاذ من الناس ، وترجع معرفتي به إلى عهد بعيد حينما انتقلت إلى مكة للعمل في مكتب معالي الشيخ محمد سرور الصبان

الخاص ، وكان هو ممن تربطهم بالشيخ محمد سرور علاقات الصداقة والعمل . وتعرفت عليه فتوثقت بيننا الصداقة من اللقاءات الأولى ، وكان رحمه الله هو صاحب الفضل في هذا الإخاء الكريم العزيز ، فلقد أنزلني مـــن نفسه منزلة الأخ والصديق فأحللته من نفسي محل الكرامة والإعزاز .. طيب الله ثراه وأسبغ عليه شآبيب الرحمة والغفران ..

كان عبد الله باحمدين كما ذكرت طرازاً فريداً من الناس، رجولة ناضجة وذكاء وقادا، وهمة متوثبة ، وطموحا لاحد له ، وقبل كل هذا كان ذا خلق ووفاء ، وكرامة وتواضع ، أقبلت عليه الدنيا وخطب وده الكبراء فلم يشنه كبر ولا بطر ، ولم يطغه نجاح ولا ظفر ، وظل وفياً لأصدقائه الكثيرين من أوساط الناس الذين كانوا يحيطون به دائماً ويلجأون إليه في الكثير من أمورهم ، وكان معهم دائماً كما كان حينما عرفوه شاباً غض الأهاب .

وكان بتفكيره المتوثب يسبق الزمن الذي عاش فيه بالنسبة للبيئة المحلية وللامكانيات المتوفرة لديه . وكان حلمه الأكبر ايجاد صناعات وطنية في البلاد ، ولقد بدأ العمل في هـــذه الصناعات بشكل يعتبر في وقتنا الحاضر بدائيا ، ولكنه قبـــل

عشرين عاما نوعا من انواع المفاجآت .

فلقد بدأ اعماله الصناعية بانتاج الثلج في مكة المكرمـــة عضوا عاملا في الشركة الوطنية التي كانت تملك مصنع الثلج الوحيد في المدينة المقدسة ثم انشأ بنفسه مصنعا كبيرا للثلج فيما بعد ، وحينما تسلم العمل في شركة التوفير والأقتصاد أسس مصنع النسيج وكان هذا المصنع يدويا بدائيا ولكنه كان بالنسبة لمكة المكرمة في ذلك الوقت عملا جريئا بل كان ميلاد فرصة وطنية تبشر بان هذا الوليد الصغير يمكن أن يكون في مستقبل أيامه الأمل الكبير ولعل القليلين من الناس يعرفون انه حاول صناعة الأثاث في مكة المكرمة وان كانت محاولاته لم تتعدّ دور التجربة والاختبار ، ذهبت يوما لزيارته بمكتبه في سوق المعلاة فقيل لي انه بانتظارك في المصنع فذهبت إلى هناك فوجدت بين يديه قطعة من الأثاث المصنوع بمواد محلية ، وكنا في أيام الحرب العالمية الثانية ولم يكن هناك من يحلم بعمل أثاث محلي في تلك الأيام ..

وفي أيام الحرب العالمية الثانية انقطع الكثير من مواد الكتابة واصبحت الدوائر الحكومية في حاجة ماسة إلى الملفات ، ووجد باحمدين لدينا في مستودعات شركة الطبع والنشر نوعا مـــن

الورق المتين اللون فاشرف بنفسه على صناعة الملفات ، وأحضر السماكرة المحليين فصنعو له الحدايد التي تمسك الأوراق ، وانتجت المطبعة دوسيهات مكة المكرمة التي سدت فراغا كبيرا في ذلك الوقت والتي لم تكن تقل بحال من الأحوال عن مستوى الملفات الواردة من مصر وغيرها من الأقطار . وكان دائم التفكير في الصناعة وكان يعمل النهار كله وصدرا من الليل ، وكان يقضي الصيف كله في مكة المكرمة بينما يبقى اهله واولاده بالطائف ، وكان جلدا على العمل صديقا لعماله وموظفيه ، وما ان انتهت الحرب العالمية الثانية حتى قام برحلة إلى اوروبا وامريكا ، وفي هذه الرحلة اشترى الباخرتين اللتين احضرهما إلى جده وكانتا تعملان بانتظام بين جده وموانىء البحر الأحمر كجيزان والمكلا وعدن والسويس ، كان حركة دائبة لا تفتر ، وعزيمة متوثبة لا يدركها الملال وقبل وفاته ببضع سنوات اتجهت همته إلى التوسع في الصناعة فأسس مصانع باحمدين المعروفة في مدخل مكة المكرمة ، وكانت تضم مصنعا كبيرا للثلج ، ومصنعا للنجارة ، وورشة للميكانيكا ، كما بدأ عمله في المقاولات المعدنية بانشاء فيلات صغيرة حديثة الطراز ، هذا إلى جانب اعماله التجارية في الأستيراد ، وأعماله في

الشركات العربية العديدة مد يراعا ما لشركة التوفير والأقتصاد وللشركة الأقتصادية الوطنية وعضوا في مجالس ادارات الشركات الأخرى ، وكان في جميع هذه الشركات قوة فعالة مؤثرة ، ولقد استأثرت به المنية وهو في فجر الرجولة فلم يكتب لمشاريعه الكثيرة أن تأخذ سبيلها إلى الظهور ، ولو امتد به الأجل لكان من أكبر المساهمين في النهضة الصناعية الجديدة التي تعيشها البلاد ، ولكن للقدر تصاريف لا يدركها البشر .. نسأل الله له الرحمة في هذا الشهر الكريم فلقد كان من خيرة الرجـــال العاملين .



عميد الصحافة

كان الاستاذ فؤاد شاكر يرأس تحرير جريدة ام القرى ثم ضمت اليه رئاسة تحرير جريدة صوت الحجاز في وقت من الاوقات وكانت هاتان الصحيفتان باستثناء جريدة المدينة المنوره هما كل الصحف الموجودة بالمملكة في ذلك الزمان ، واطلق الاستاذ فؤاد على نفسه لقب (عميد الصحافة) وسافر إلى الرياض مع وفد من أعضاء مجلس الشوري وأخذ يوافي الصحيفتين باخبار الوفد منسوبة إلى عميد الصحافة ، ويبدو ان بعض الجهات الرسمية لم ترض عن هذا اللقب اذ ذاك ، وفي ذات ليلة قدم إلى معالي الشيخ محمد سرور خبرا مكتوبا بخط الشيخ أحمد موصلي وكان اذ ذاك سكرتيرا لمعالي الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية الاسبق وهذا الخبر ينص على ان

لقب عميد الصحافة ليس لقبا رسميا ... وقال لي مطلوب منك ان تكتب هذا الخبر باسلوب صحفي لنشره في الجريـــدة ، وكتبت ما معناه لاحظنا كما لاحظ القراء ان اسم الاستـــاذ فؤاد شاكر رئيس تحرير جريدتي صوت الحجاز وام القرى اصبح ينشر مسبقا بلقب عميد الصحافة وقد وددنا أن نعرف هل اللقب المذكور ممنوح للأستاذ فؤاد من مصدر رسمـــي فأكدت لنا الجهات الرسمية المسوؤلة ان هذا اللقب لا علاقة للدولة به بحال من الأحوال ، وبعثت الخبر إلى جريدة صوت الحجاز مكتوبا بخطي ونشربها .... واتصل بي في نفس اليوم الاستاذ حسين عرب – معالي وزير الحج السابق – وكان سكرتيرا لجريدة صوت الحجاز وقال ان المرحوم الاستـــاذ جميل داود المسلمي ، وكان وكيلا للخارجية بمكة المكرمـــة ومسؤولا عن شئوون الصحافة ، اتصل به وسأله عن مصدر الخبر وكاتبه ، وقلت للأخ حسين قل له ان هذا الخبر ارسل إلى الجريدة من مكتب الشيخ محمد سرور ، وانه ان رغب الاستفسار عن مصدره فليتصل به لهذه الغاية ، ولم يتصـــل الاستاذ جميل داود رحمه الله بنا ، وعاد الاستاذ فؤاد مـــن الرياض ووجد أصل الخبر مكتوبا بخطي في ادارة الجريـــدة

فنشر ردا مقذعا يقول فيه انه كان وما زال عميدا للصحافة منذ ان كان كاتب هذا الخبر يرضع من ثدى امه ... وقرأت الرد المقذع وثار الدم في عروقي وكتبت عليه ردا اقذع قلت فيه: (حكي ان الطفيلي اشعب اجتمع عليه الصبية فاراد ان يصرفهم فقال لهم ان في بيت فلان وليمة ... فتراكض الأطفال جريا إلى المنزل ... فقال اشعب لنفسه لا بد وان يكون الخبر صحيحا وأخذ يعدو خلفهم للحاق بالوليمة التي اخترعها هو ... وقلت ان الاستاذ فؤاد اطلق على نفسه لقب عميد الصحافة وحينما قلنا وقال المسؤولون انه ليس عميدا لها تصور انه عميد الصحافة حقا وصدقا وان لهذا اللقب حقوقا وامتيازات يجب عليه ان يدافع عنها ويحميها فقام يدافع اليوم عن حق وهمي مثلما ذهب اشعب يعدو إلى وليمة وهمية !)

وعلقت على كلمة الاستاذ فيما يتعلق بصغر السن بتعليق مناسب للمقام وقدمت الرد إلى الشيخ محمد سرور وقلت له انني لم اكن طرفا في هذا النزاع بحال من الأحوال ولكن الامر الآن لا يمكن السكوت عليه بعد ان كتب الاستاذ فؤاد ما كتب ... وقرأ الشيخ محمد سرور الرد بامعان ثم قال انني أعد له ردا أقوى من هذا ... وفهمت انه ينوي امرا ولكني لم اتبين ما

يرمي اليه وطويت الرد وسكت على مضض ، ومضت ايام ...
ثم فاجأني الشيخ محمد سرور بقوله لقد وافق سمو الامير على
اسناد رئاسة تحرير صوت الحجاز اليك ، قلت والاستـــاذ
فؤاد ... قال هذا هو الرد عليه ... ولعل الكثيرين ومن بينهم
الاستاذ فؤاد شاكر لا يعرفون السر وراء تعييني رئيسا لتحرير
صوت الحجاز في ذلك الزمان .

السيّد ابراهيم النوري

فجحت البارحة بنبأ وفاة الصديق المرحوم السيد ابراهيم النوري انزل الله عليه برد الرحمة وأسكنه فسيح الجنان .

ومعرفتي بالسيد رحمه الله قديمة جدا ، وكانت سمعته العاطرة في حقل التعليم والتربية قد سبقت هذه المعرفة ، ولكن صلتي به توثقت كثيرا منذ ان تم اختياره عضوا في اللجنة التي تولت تصحيح مصحف مكة المكرمة ، الذي اتفقت والمرحوم الشيخ عبد الله باحمدين مع الخطاط المعروف الاستاذ محمد طاهر الكردي على كتابته قبل ربع قرن تقريبا ، ولهذا المصحف حديث طويل ربما عدت اليه يوما ما ولكني أود ان اقول ان السيد ابراهيم النوري رحمه الله كان أكثر اعضاء لجنة التصحيح نشاطا ، بل استطيع ان اجزم انه كان الشخص

الوحيد الذي عنى عناية كاملة بامر تصحيح هذا المصحف الشريف ، وهو أول مصحف يكتب في مكة المكرمة ، ويطبع بها ، وقد استغرق هذا الامر منه شهورا طويلة وجهدا شديدا ولكنه كان مدفوعا باخلاصه الشديد وغيرته الدينية وحميته المتوقدة لاتمامه ، وكنا نتبين هذا الحماس وهذه الغيرة كلما لقيناه ووجدناه منشغلا بأمر التصحيح مع الاستاذ طاهر الكردي ولولا همة السيد رحمه الله لما أمكن تصحيح المصحف في بلادنا ولما أمكن للأسماء التي وضعت في ذيل المصحف الشريف ان توضع . وهذه حقيقة نذكرها للتاريخ اعترافا بجهود السيد – رحمه الله – في هذا العمل التاريخي العظيم ، ولقد كان يرحمه الله كريما فلم يبد أي اعتراض على وضع اسماء اللجنة الآخرين الذين لم يقوموا بأي عمل معه ولو فعل لكان من حقه ذلك ، ولكنه كان مؤثرا وكان كريما ...

وبعد الانتهاء من تصحيح المصحف مرة أخرى بمعرفة مشيخة المقارىء في مصر وبعد عمل الاكليشهات له في القاهرة وتأليف شركة خاصة به طلبنا إلى السيد رحمه الله القيام بادارة هذه الشركة والاشراف على أعمالها تقديرا لمجهوده السابق في تصحيح المصحف ولقد قبل ذلك بسرور عظيم ، فلم يقف

جهده عند تصحيح المصحف الشريف ولكن عمله امتد حتى خرج المصحف الشريف إلى الوجود ورتله المرتلون .

رحم الله السيد ابراهيم فلقد كان رجل عمل ودين ، ولقد كان نمطا فريدا في الاستقامة والجد ، وكانت وفاته خسارة عظيمة ، رحمه الله رحمة واسعة وجعل من ابنائه المفجوعين به امتدادا لتاريخه العاطر الكريم .



ذكرى المولد

مع اطلالة ليل الثاني عشر من هذا الشهر الكريم والبدر في اكتماله ، والسماء تشرق بالنور ، والأرض تسبح في هذا الفيض الغامر بالضياء تطل على المسلمين ذكرى مولد الرسول الهادى صلوات الله وسلامه عليه قبل أربعة عشر قرنا من الزمان ... ولئن ارتبط مولده الكريم صلوات الله وسلامه عليه بما حفلت به كتب السيرة من ارهاصات وبشائر كثيرة تدل على ان لهذا الوليد الذي اصطفاه الله لهداية البشرية شأنا عظيما ، فان رسالته الكريمة إلى الانسانية عامة هي البشارة الدائمة ، والذكرى التي تتجدد على مدى الأزمان .

ولقد تعود المسلمون في كثير من اقطارهم الأحتفاء بهذه الذكرى باساليب متعددة تتجمع كلها في معنى الفرحة بهذه

الذكرى العظيمة ، ذكرى ولادة محمد خاتم الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه والفرحة بالشيء لا تكون الا عن حب له ، وتعلق به ، ومن هذا تكون هذه الأحتفالات المتعـــددة تعبيرا عن هذا الحب العميق الذي يكنه المسلمون في أقطـــار الأرض لرسولهم الأمين ونبيهم الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، ولكن ما أعجب حال هؤلاء المسلمين المحتفلين بذكر رسولهم الكريم وانه لحال يستدر الشئوون ويثير كوا مـــن الشجون .

هؤلاء المسلمون المحتفلون بذكرى نبيهم الكريم اين هم من هديه وسنته وأين هم من القرآن الذي نزل عليه من ربه ، وأين هم من التشريع الذي هبط عليه وحيا من السماء .. ؟

أين المسلمون اليوم من عزمات محمد وأصحاب محمد ، وأين المسلمون اليوم وهم يعدون بمئات الملايين اين مكانهم من قيادة انفسهم والدفاع عن عقيدتهم وقرآنهم ، ولا نقول من قيادة الدنيا وسيادة العالم، ينظر الناظر فلا يرى الافتنا كقطع الليل المظلم ، لا تنتهي فتنة الا وتثب أخرى ، والمسلمـــون يحارب بعضهم بعضا باسم الأشتراكية والديموقراطية والتقدمية ولا يحاربون اعداءهم باسم الدين والجهاد ؟ .

يحتل اليهود فلسطين ، وتنتصر الشيوعية على المسلمين وتحاربهم في زنجبار ويتكاثر النصارى على الاقلية التركية المسلمة في قبرص ، ولا تتحرك ضمائر المسلمين ، ولا هممهم بشيء من هذا بل تجد من المسلمين من يرسل السلاح إلى نصارى قبرص ، لمساعدة النصرانية ضد الاسلام ؟ وتقتيل جيوش المسلمين في اليمن وعلى حدود الجزائر والمغرب ولكنها لا تحرك ساكنا في حدود فلسطين . ويسام المسلمون الوان العذاب في الدول الشيوعية في اوروبا وآسيا بينما يتسابق زعماء المسلمين على صداقات هذه الدول الكافرة الباغية ، ويلقى المسلمون انواع الأذى في الحبشة وارثيريا وافريقيا الشرقية بينما يستقبل زعماء هذه الدول في ديار الاسلام بوصفهم أصدقاء الداء .. وليس بعد هذا الهوان هوان .

لقد هان المسلمون على انفسهم حتّى صادقوا اعداء هم ووادوا من حاد الله ورسوله ومع ذلك لا يخجلون من الأحتفال بذكرى ميلاد رسولهم وقد تنكروا لشريعته وتطاولوا على مقدسات الدين الذي بعث به مبشرا وهاديا ونذيرا .

ليس المسلمون في حاجة إلى الاحتفالات بالذكرى بالخطب ومعالم الأفراح وانما هم في حاجة إلى أن تكون هذه الذكرى

مبعث تفكير لهم فيما بلغته احوالهم من التفرقة ، وعقائدهم من الزيغ ونفوسهم من الهوان . ولا يعالج ادواء هذه الأمة إلا الرجوع إلى ما جاء به نبيهم الذي يحتفلون بذكراه ، ليكونوا خير امة اخرجت إلى الناس .

ماذا افاد المسلمون من هذه المذاهب التي جاؤا بها من شرق وغرب غير هذا المسخ في الأفكار ، والرجس في الأخلاق ، والحقد بين الطبقات .

ولقد تغلغلت هذه المفاسد في النفوس والمسلمون في غفلة من أمرهم فتسللت هذه العقائد الخبيثة غزوا فكريا وثقافيا تعمل له المدرسة والجامعة كما تعمل له الأذاعة والصحافة دون وعي أو تفكير ، وأصبح التحلل والأباحية تحضرا ومدنية ، وأصبح زيغ العقيدة سعة افق وحرية فكر . وهكذا اختلت المقاييس وأضطربت القيم ، فاصبح التمسك بالدين رجعية ، والمحافظة على الخلق تعصبا ولا يدري إلا الله وحده متى تنقشع هذه الغمة فيعود المسلمون إلى المحجة البيضاء التي تركهم عليها نبيهم الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، ومن واجب الكاتب المسلم أن يذكر ولاء أمور المسلمين وقادتهم بالامانة التي وضعها الله في اعناقهم نحو المسلمين عامة فان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

قضايا الاسلام واحدة

قبل عامين مضيا أتيح لي أن ازور جزيرة قبرص ، وفي صباح يوم من أيام يوليو غادرنا بيروت على طائرة من طائرات الخطوط الجوية البريطانية فوصلنا إلى نيقوسيا بعد ساعة او بعض ساعة ، واستقبلنا هواء حار يذكرنا بسموم الصحراء وعجبت لمن يتخذون من هذه الجزيرة مصيفا وهي تتنفس عن لهيب ودخان ، ونزلنا بفندق نيقوسيا بلاس وهو أكبر فنادق الجزيرة وأجملها واحتمينا من القيظ اللاهب داخل الغرف المكيفة ، وقبيل الغروب هبطنا إلى المدينة نتعرف على معالمها وآثارها ، وبقدر ما كان النهار قائظا كان الليل جميلا رائق الهواء وتناولنا عشاءنا في حديقة الفندق المنسقة أجمل تنسيق والتي تزينها النافورات الكثيرة والثريات الكهربائية الجميلة وفي صباح

اليوم التالي توجهنا بالسيارة إلى مصيف الجزيرة في جبال كرانيا التي أصبحت مسرحا للقتال في الشهور الأخيرة بين القبارصة الاتراك والقبارصة من اليونان ، والمسافة بين الجزيرة والمصيف تزيد عن ساعات ثلاث بالسيارة ، والطريق داخل الجبال ضيق كثير الالتواءات ، حتى ليشعر المرء بالدوار من كثرة هذه الالتواءات ومن الصعود والهبوط ، ولكن الجبل أشبه ما يكون بالغابة الكبيرة فقد كسيت اجزاؤها بالاشجار العالية المتشابكة ، وفي الطريق إلى المصيف مررنا ببيوت ظهرت عليها آثار التدمير والحريق فسألت عنها سائق السيارة – وكان يونانيا قبرصيا – فقال لي ان الاتراك هم الذين حرقوا هذه البيوت ... وادركت ان في نفوس هؤلاء اليونانيين أشياء كثيرة ستظهرها الأيام ... ووصلنا إلى المصيف في نهاية المطاف فوجدت الجوّ فيه مقبولا في النهار ، أما ليله فمائل إلى البرودة ، وفي طريق العودة مررنا ببعض القرى التركية وكان الفقر فيها ظاهرا بشكل ملحوظ ... ولقد عنيت أثناء زيارتي للجزيرة بمعرفة المكان الذي أقام فيه المرحوم الملك حسين بن علي حينما أجبر على الاقامة فيها فلم أجد من يدلني عليه بل ولم أجد من يتذكر هذا الأمر بعد أن مضت عليه عشرات السنين ولكني

وجدت كل من في الجزيرة يعرف القلعة التي سجن فيهـــا الاسقف مكاريوس ... وفي قبرص كما في اليونان وجـــدت كثيرا من اليونانيين الذين يتكلمون العربية والذين كانـــوا في مصر فخرجوا منها أو اخرجوا منها على الاصح .

ان الخلاف بين اليونانيين والاتراك خلاف عقائـــدي ونظرتنا اليه كمسلمين يجب ان تكون ضمن هذا الاطار يجب علينا كمسلمين أن نقف إلى جانب الاقلية التركية المسلمة التي تتكالب عليها قوى التعصب والبغي متذرعة بمختلف الذرائع . ان الاتراك المسلمين هناك يبلغ تعدادهم الثمانين الفا فـــاذا اندمجوا كرعايا قبرصيين ضمن اليونانيين لم يبق لهم كيان ولطغى عليهم اليونانيون بالكثرة العددية وبالتأييد الذي يلقونه من حكومة اليونان والشعب اليوناني . وانني لأخشى إن تهاون المسلمون في هذا الأمر أن تكون الكارثة في قبرص شبيهـــة باختها في فلسطين . فليتنبه المسلمون .

ان قضايا الاسلام واحدة في كل مكان وان كانت تلبس ثيابا مختلفة ، لقد رأينا كيف قضي على العرب في زنجبار قبل بضع شهور بوحشية لم يعهدها التاريخ ووقف المسلمون صامتين وكأن الأمر لا يخصهم . لم نتحرك لقضية زنجبار كعـــرب

ولا كمسلمين ، وها نحن نقف من قضية قبرص كما وقفنا من قضية زنجبار ولن يؤخذ المسلم بسلاح أقوى من سلاح الفرقة والتهاون ، وصدق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حينما وصف المسلمين يومئذ بأنهم غثاء كغثاء السيل .

مَدينَـة فـَاس

من أعجب المدن التي رأيتها مدينة فاس في المغرب الاقصى ... قدمنا اليها بالقطار من الدار البيضاء فوصلنا اليها بعد رحلة متعبة في أصيل يوم قائظ وتركنا القطار وامتطينا السيارة إلى المدينة القديمة ، وفي كل المدن المغربية مدينة قديمة وأخـــرى جديدة وسارت السيارة حتّى وصلت إلى مرتفع من الارض ثم بدأت تهبط في منحدر ملتو واستمرت في الهبوط زمنا حتّى وقفت بنا أمام فندق قصر الجامعي في أعلى مكان من المدينـــة القديمة ، والجامعي هذا كان وزيرا في عهد الأفرنسيين وقتله الوطنيون المغاربة فاشترت الحكومة الفرنسية قصره وجعلت منه فندقا .... ودخلنا إلى قصر الجامعي فكأننا في بيت مـــن بيوت دمشق او الطائف أو غرناطة بالاندلس ، مدخل رطب

تدخل منه إلى بهو مكشوف كالديوان تتوسطه نافورة يتدفق منها الماء وتحيط به أصص الازهار والريحان وقد سقف بعض هذا البهو لتظلله الزروع والاثمار ولتخفف من حرارة الشمس ولفح السموم ، واستدارت حول هذا البهو غرف الطعــام والأدارة والجلوس وفي آخر البهو حديقة ناضرة كثيرة الشجر ملتفة الاغصان ، بدا فيها النخل زاهيا في سموق واخضرار ، وتدلت شماريخه صفراء زاهية شهية ، وصعدنا إلى الغرف التي خصصت لنا لنصيب بعض الراحة ولننفض عنا من وعثاء السفر ونتبرد وثم نتهيا للعشاء ... ولم نجد ماء في الحمام وبعد لأي جاء الماء ولكنه كان ماءا باردا ، أما الماء الساخن فليس له وجود ... ولم نعلق أهمية تذكر على الامر ، وان كــان العجب قد أخذ مني مأخذه فمدينة فاس لم يختر لهــا مولاي ادريس كما يقول المغاربة هذا الموقع الا لوفرة الماء فيه وتناولنا عشاءنا في البهو المكشوف حول النافورة وسعدنا بجلسة اذكرتنا بليالي الطائف والمدينة ودمشق وغرناطة ولا غرور فنحن في بلد عربي ينطق كلما فيه بآثار العروبة والاسلام وتناولنا عشاءنا دجاجات مطبوخة بالزيت والزيتون وكسكسي ، عشاءا مغربيا خالصا ولكنه متقن ايما اتقان وشربنا الشاي الاخضر أو الأتاي

كما يسميه المغاربة ونمنا مبكرين ، وكان الهواء حارا ففتحنا النوافذ جميعها فكأننا قد انتقلنا بقدرة قادر من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق خيل الي اني أبيت ليلتي تلك بالمدينة المنوره فما أشبه الجو بالجو والمكان بالمكان ... وتكررت قصة الماء في الصباح ... وافطرنا وطلبنا دليلا يأخذنا إلى المدينة لنزورها فوجدنا الدليل حاضرا بالفندق ، وما أكثر الأدلاء ... وكانت لهجته عربية فصيحة وليست كلهجة اخواننا المغاربة التي تحتاج في كثير من الأحيان إلى ترجمان ... وأردت ان آخذ سيارة فابتسم الدليل ابتسامة مؤدبة وقال لا حاجة للسيارة ... فالمدينة قريبة قلت ولكن بعضنا لا يطيق المشي الطويل فقال ولكن المدينة القديمة لا تدخلها السيارات وكتمت عجبي وسرنا مع الدليل فانحدر بنا إلى المدينة ، والانحدار هو اصدق الأوصاف لهذا الهبوط الذي لم أجد له مثيلا سوى في مدينة فاس .... واستقبلنا المدينة ، شوارع ضيقة كبعض ازقة المدينة المنوره وقد اكتظت بالبضائع على الجانبين ، وخصص لكل شارع أو على الأصح لكل زقاق حرفة من الحرف ، فهذا سوق الجزارين وذلك سوق القماشين وهذا للأخشاب وذيالك للجلود، وآخر للسجاجيد إلى ما لا نهاية له من حرف وأسواق.

ولا تنتهي من سوق ضيق الا إلى سوق أضيق ولا مجال للسير إلا على الأقدام ، ولم أجد حتى دراجة واحدة داخل هذه الاسواق . أما التفكير في دخول السيارات فهو ضرب من المستحيل ، وكانت البهائم المحملة بالذبائح تشارك الناس سيرهم في هذه المنعطفات ولا تبخل على ملابسهم بآثارها الدامية ولقد خرجت من المعركة بعلامات كثيرة قانية .... ثم انتهى بنا المطاف إلى منزل من هذه المنازل الجميلة ذات الابهاء الحلوة ... وكان هذا المنزل يشبه قصر الجامعي من حيث الشكل الا انه لا حديقة له فلقد كان معرضا للتحف المغربية والسجاد ، وكان في حقيقة الأمر متحفا حيا بما حواه من نقوش جميلة وزخرف ، فقد زينته الآيات القرآنية في خط كوفي جميل ، ولقد علمت ان صاحب هذا القصر وأمثاله من المغاربة استخدموا منازلهم البديعة هذه فاتخذوا منها معارض للصناعات المغربية فاقبل عليهم التجار ، وكانت مجلبا للسائحين ، ولقد رأيت في داخل هذا البهو سائحين فرنسيين وقد جلسوا على الأرائك المغربية ، وأديرت عليهم أكواب الشاي الاخضر ، ووجوههم تطفح بشرا وايناسا ، وفي أعلى هذا المنزل كان هناك مطعم على الطريقة المغربية فرشت أرضه

بالطنافس المغربية وصنعت من الارائك وأديرت حولها الموائد النحاسية المنقوشة تلمع لمعان الذهب ، وقام بالخدمة فيه سقاة من المغاربة في لباسهم التقليدي الزاهي الجميل ... وتناولنا في هذا المطعم بعض الشراب الحلو ، وعدنا ادراجنا إلى الفندق في نفس الطريق وقبيل خروجنا من البلدة القديمة كانت هناك ساحة لا تزايد مساحتها عن عشرة امتار في مثلها وقيل لنا هذا هو ميدان البلدة فيا له من ميدان ... وتناولنا غذاءنا في الفندق فكان نفس الغذاء ... وتكررت قصة الماء في اليوم التالي فضقت ذرعا بالأمر وحينما هبطت إلى بهو الفندق لتناول العشاء التف حولي خدم الفندق من المغاربة وفهمت ان لديهم ما يريدون ان يتحدثوا به الي ... وطلبت قائمة العشاء فكانت في اصنافها كعشاء الليلة الفائتة ، وكغذاء اليوم نفسه فعجبت وسألت كبير السقاة ما هي القصة يا أخي ... اليس فندقكم هذا أكبر فندق في مدينة فاس كما قال لي مدير شركة كوك في الدار البيضاء ؟ ... قال بلى ... قلت أن طعامكم جميل ومتقن ولكن لماذا لا تنوعونه كما يفعل الناس في كل مكان ... قال اننا منذ قدمت أمس ونحن نتحين الفرصة للتحدث اليك ... والتفت اليهم قالوا ان مدير هذا الفندق الفرنسي الذي رأيته ورد الينا هنا منذ شهور أربعة ولقد

كان مقيما في الكونغو ... وقلت في نفسي أول القصـــدة كفر...قلت نعم. قالوا: وهذا المدير يعمل على تشويه سمعة الفندق واجلاء النزلاء عنه ومضايقتهم بشتى الطرق ... ولقد شهدت بنفسك كيف انقطع الماء عنكم أمس واليوم. واستمر قائلا : ان قطع المـــاء كان متعمدا وحينما احتججت أطلق الرجل الماء البارد ومنع الماء الحار بعد أن عرف انكم تطلبونه ...وهو يصر على تقديم هذه الانواع التي لا تختلف من الطعام يستمر عليها اسبوعا واسبوعا فيضايق النزلاء ليذهبوا إلى غير عودة...قلت: أريد أن اعرف أولا من الذي يملك هذا الفندق؟ قالوا: الحكومة المغربية.قلت: وأين انتم من حكومتكم لماذا لا تشكون هذا الفرنسي وتشرحون الأمر للمسؤولين؟ قالوا: لقد فعلنا ولكنا نريد منك أن تعاوننا فتتصل تلفونيا بمدير السياحة سيدى العلوى وتخبره بما رأيت ... وبالرغم من انني لا اتدخل عادة في مثل هذه الامور الا انني قلت لهم اني على استعداد . قالوا: سنحضره لك على التلفون. وعاد الرجل بعد وقت وهو يقول ان مولاى العلوى سافر إلى الرباط ... ولقد عجبـــت لشذوذ المدير الافرنسي فسألته في اليوم التالي وكانت النافورة تتدفق بالماء أمام مكتبه ... فاشرت اليها وقلت هذا الماء المتدفق

لماذا لا يكون جاريا في الغرف ؟ فقال بعد انحنى في أدب مصطنع الطلمبة يا سيدي ... الطلمبة تالفة ... قلت أفلا يمكن اصلاحها؟ قال بلى واني لفاعل ذلك سريعا معذرة يا سيدي ... وسافرنا في اليوم التالي ولم تصلح الطلمبة لأنه لم يكن هناك ما يدعو إلى اصلاحها بالفعل ...

لقد ذكرت في مطلع حديثي أن كل مدينة كبيرة في المغرب تنقسم إلى قسمين قديم وحديث ... ولقد علمت ان فرنسا حينما احتلت المغرب تركت المدن القديمة على حالها فلم تمد اليها يدا لاصلاح أو تطوير وانما انشأت مدنا حديثة بجوار المدن القديمة فتجد الرباط القديمة والرباط الجديدة ، وفاس القديمة وفاس الجديدة ، وهكذا بالنسبة لمراكش ومكناس وغيرها من المدن المغربية ولعل فرنسا ارادت ان تظهر آثارها في المغرب بتخطيط المدن الجديدة ولتكون المقارنة حية بين القديم والجديد ، فتظهر للناس الفارق بين ما تفعله هي وما كان عليه حال البلاد قبل الاستعمار ... ولقد قيل لي ان الفرنسيين كانوا يختصون انفسهم ومن لهم فيه هوى بالسكن في المدن الجديدة بينما كانت هذه المدن محرمة على الوطنيين أو تكاد ، ولعل إلى جانب هذه الاسباب سببا اقتصاديا اهم وأعظم فهي تقطع الفرنسيين

الأراضي في هذه المدن الجديدة أو تقدمها لهم بأسعار رخيصة بينما تهيء لهذه المدن كل المرافق التي تحبب السكنى فيها فترتفع قيمتها وينتفع الفرنسيون من جراء هذه السياسة الاستغلالية على حساب الشعب المحكوم ، فانشاء هذه المدن شق الطرق فيها وتزويدها بالمرافق العامة كالماء والكهرباء والمجاري والتلفونات والمباني الحكومية ، والميادين والحدائق العامة ، كل هذا يجعل للأرض قيمة كبيرة وللاستغلال عائدا عظيما وهذا ما كسبته فرنسا أيام الاحتلال ... ولم تزال تكسبه حتى في أيام الاستقلال ... ولكن إلى متى سيبقى هذا ؟ .. لقد رأيت في المغرب ذعر الفرنسيين وهلعهم، رأيت العمارات الشاهقة في أعظم الشوارع ورأيت فنادق الدرجة الأولى في امهات المدن المغربية ورأيت المزارع الكبيرة ، رأيت كل هذا يعرضه الفرنسيون بابخس الاثمان انهم يهربون قبل هبوب العاصفة ... ولقد هبت العاصفة في الجزائر وهم يخشون ان يصل المد إلى المغرب ... ولقد أفاد المغاربة فائدة أعظم من هذه العزلة التي فرضها عليهم الافرنسيون في المدن القديمة ، فاحتفظوا بخصائص قوميتهم وباصالة طبعهم ، وبصفاء عقيدتهم ، وكانت هذه المدن القديمة وخاصة مدينة فاس ومراكش بما فيها من جوامع

كجوامع القرويين في فاس ومن مساجد اسلامية كثيرة معقلا من معاقل الأسلام تتعبأ فيها القوى ضد الاستعمار وتتهيأ، ولقد قيل لي ان أغلب زعماء حزب الاستقلال كانوا ممن تلقوا تعليمهم في جامع القرويين الذين يسمونه الآن جامعة بالتعبير الحديث ... واراد الله بهذه العزلة للمغاربة خيرا في عهد الاستعمار كما أصبحت اليوم موردا للسياحة في بلاد المغرب ، يفد اليها السواح من أقاصي العالم ليجدوا المدن المغربية القديمة بالطريقة التي بنيت بها قبل بضعة قرون .

وخرجت فرنسا من المغرب ، واصبحت المدن القديمة والحديثة خالصة للمغاربة وبقي عليهم ان يتخلصوا من استعمار الاقتصاد كما تخلصوا من استعمار السياسة وانهم لفاعلون ذلك بأذن الله .

وبعد فمن شاء أن يرى مدينة تذكره بالصدر الاول من تاريخ الاسلام فليذهب إلى المغرب وليزر مدينة فاس فهي من أعجب المدن بلامراء . ،



حَامِل الحِذاء

زوجان من فرنسا ، أو من الاقاليم التي ليست افرنسية ، وليست المانية ، كالالزاس واللورين ، الرجل كهل يدلف إلى الشيخوخة فهو قد اشرف على الستين ، والمرأة نصف لا تقل عن الخمسين ان لم تكن قد تجاوزتها ببضع سنين . وكنا في رحلة بالسيارة من زيوريخ إلى مصب نهر الرين الذي يكون خطا طبيعيا يفصل بين سويسرا والمانيا ، وكانت الحدود تضيق حتى ليخيل اليك ان في وسعك ان تصافح الالماني في الشاطىء الآخر على بعد بضعة أمتار ، وتتسع فاذا انت في غابة من الغابات أو في سهل افيح متموج بالخضرة والأزهار . وكان الزوج والزوجة يحتلان مقعدهما أمامنا فنحن نرى من شؤونهما ولا يريان ، وكانت الرحلة طويلة تستغرق أكثر من ثلاث ساعات

في الذهاب ومثلها في الأياب ، وكنا نتوقف في بعض المــدن لزيارة ما يستحق الزيارة ، او لنشتري ما يشتريه السائــح في امثال هذه الرحلات ، ولاحظت ان الرجل يحمل من ضمن ما يحمل كيسا من النايلون الأبيض بداخله حذاء لزوجــه ، وكانت الزوجة تغير حذاءها المريح في الأتوبيس لتتناول الحذاء الآخر من الزوج كلما دعينا إلى مغادرة السيارة وكانت المهمة فيما يبدو ثقيلة شاقة ، وكان الزوج قد أدركه التعب أما من طول الرحلة أو من ضيقه بمهمة الحذائين فلقد كان عليه ان يضع الحذاء الآخر في الكيس العتيد ، فاذا عادت الزوجة إلى السيارة أعادت الحذاء ذا الكعب العالي إلى الزوج المسكــين ليلبسها الحذاء المريح مرة أخرى ، ونام الزوج فيما اقدر تعبا وغما فنادته الزوجة ماك .. ماك فانتبه مذعورا وامسك بالحذاء يظن ان الزوجة توشك على النزول ... فاذا بها تقهقه متخابثة وتلفت كل من في السيارة ليشهد منظر الزوج وقد عراه الخجل والالم ... ووصلنا إلى آخر الرحلة ودعانا ليلنا إلى الهبوط في مكان مجاور لمنبع النهر لنشهد تدفق المياه هناك ، وهبطنا وكنت اقدره هبوطا هينا كما قدره زملاؤنا في الرحلة ومن ضمنهــم السيد والسيدة ماك وهبطنا فاذا سلم طويل من الحجر المسلح ..

كلما ظننت انك قد وصلت منه إلى الغابة ، بعدت عنهـــا ، وواصل الفتيان والفتيات من السفر هبوطهم إلى منبع النهر ، أما الكهول فقد آثروا العودة من منتصف الطريق ، وفي منتصف الطريق وجدنا المسز باك بحذائها ذى الكعب العالي مجهدة منهكة ولم يكن زوجها معها ... ووقفت تنادي ماك ... ماك ... ولا من مجيب، تريد ان تستبدل حذاءها العالي بالحذاء المريح الذي يحمله المستر ماك ، وضحكنا من المسز ماك وواصلنا الصعود وصوت ندائها لزوجها يصل الينا كلما ابتعدنا ، ولقد أصبح هذا الصوت في آخر الأمر شبيها بالعواء . وفي نهاية المطاف وجدنا المستر ماك واقفا ينظر إلى النهر من أعلى مكان وعلى وجهه ابتسامة خبيثة ، وكأنه يقول من يضحك أخيرا يضحك كثيرا ...



روح النظافة

ليس يكفي أن نبني الدارات الجميلة وان نغرس بها الأشجار ونزرع الحدائق ، ثم لا نفي بنظافة الشوارع أمام منازلنا ومن حولها ، لقد اصبحت لنا في بعض المناطق شوارع جميلة منسقة ، فرشت أرضها بالاسفلت ، وقامت الأشجار على جانبيها خضراء بهيجة ، وانتظمت اعمدة النور تحيل ليلها الدامس إلى نور وهاج ، ولكنا لم نعن بهذه الشوارع ، وانا اوجه اللوم إلى سكان هذه الشوارع وقطانها ، ففي هذه الشوارع الجميلة وحول هذه القصور والدارات الانيقة تجد فضلات الطعام امام بعض البيوت ، وتجد بقايا العماير من الاتربة والاحجار أمام كثير من المنازل ، وكأن السكان لا يهمهم الشارع فاتخذوا منه معرضا للفضلات المختلفة ، بينما يحرصون

على اظهار بيوتهم بالمظهر الجميل البديع ، وهذه الحالة تدل على انعدام روح النظافة لدينا ، وهي من أبرز مظاهر ديننا ، كما انها مطلب جوهري للحياة الكريمة والصحيحة .

وقد يتساءل متسائل عن البلدية أين هي من هذا الواجب وأين فرق النظافة الخاصة بها ، ومع عدم اعفاء البلدية من المسؤولية في هذا الأمر الا ان واجب السكان انفسهم ان يحرصوا على نظافة شوارعهم كما يحرصون على نظافة منازلهم وحسن تنسيقها .

اننا في حاجة لان ننمي روح النظافة بيننا ، ونربي اطفالنا عليها فتساعد على اظهار بلادنا بالمظهر الجميل الكريم ، وبدون هذا لن تستطيع أية بلدية في الدنيا ان توجد المدينة التي يفاخر بها المواطنون . »

التنظيم والتنسيق

النهضة الشاملة التي تقوم بها الدولة والامة معا لتحسين المدن وتخطيطها يجب ان تصاحبها قوانين للتنظيم والتنسيق ، ليس يكفي ان نفتح الشوارع الجديدة وان نشجرها ونرصفها ونضيئها بالكهرباء ثم نترك الحبل على الغارب ؟

يجب ان يكون هناك تنظيم يحدد أماكن السكن ، كما يحدد اماكن الاسواق المختلفة ، والمناطق الصناعية ، فلا نرى شارعا كشارع الشرفية الذي أصبح مقرا للتمثيل السياسي قد تحول إلى أسواق شعبية لا تجانس بين حوانيتها ، فالى جانب القصور الكبيرة ذات الحدائق الغناء ، نرى مطعما من الدرجة الخامسة وقراجا أو اثنين لأصلاح السيارات على قارعة الطريق ، وحوانيت لأصلاح اطارات السيارات ، ومقاهي متعددة

وحوانيت أخرى لبيع الفاكهة بطريقة لا أثر فيها للذوق او التنظيم . هذا الخليط من الحوانيت في شارع من أهم شوارع المدينة لا يمكن أن يتفق مع ما نحاول ان نضفيه على المدينة من مظاهر الحضارة والتطوير ، فالمناطق السكنية يجب ان تكون بمنأى عن الاسواق ، والحوانيت الشعبية وخاصة ما يتعلـــق بشؤون الصناعة منها يجب ان تكون في مناطق خاصة بها لا ان تحل في كل مكان وحيث يزدحم العمران ، ولقد علمت ان هناك تفكيرا جديا في نقل الورش والمصانع من منطقة بـــاب مكة إلى منطقة أخرى وهو تفكير سليم يجب ان يخرج إلى حيز الوجود . وفي كل مدينة متحضرة توجد مصلحة للتنظيم لا تمنع امثال هذا الخليط فحسب وانما تتحكم في نوعية المبـــاني وارتفاعاتها ومظاهرها وأغراضها بحيث يكون الشارع آية من آيات الفن الجميل وإلى ان يصدر قانون من هذا النوع فان في يد البلدية ان تقوم بشيء من هذا القبيل طالما ان البناء لا يمكن الشروع فيه الا بتصريح من البلدية نفسها ، وهناك من يستطيعون التحكم في هذا الأمر أكثر من البلديات وهم أصحاب الاملاك، ان عليهم ان يحسنوا أختيار المستأجرين وأن لا يسمحوا بتشويه الشوارع التي تقع فيها املاكهم وعمايرهم . انني اتصور الآن

شارع الشرفية وقد اصبح منطقة خاصة بالسكن وقد أزيلت
منه هذه الحوانيت التي تشوه منظر الشارع فظهرت قصوره
وداراته تزينها الحدائق الغناء ويخيم عليها الهدوء وتظلله الاشجار
الوارفة على الجانبين . ان الايجارات في هذا الشارع سترتفع ،
وان ثمن الأرض سيتحسن دون شك وسيتسابق الناس إلى السكن
هناك وفي هذا فائدة للملاك وللسكان ولمنظر المدينة وتطورها ،
اما ان بقي الحال على ما هو عليه فستزحف دكاكين البنشر ،
والمقاهي إلى الاحياء الأخرى التي لم تصلها العدوى بعد وعلى
الدنيا السلام .



بين التجارة والادب

صديق تاجر ، طلب الي ان اكتب في بعض الأمــور التجارية ذات العلاقة بالاتفاقات الأقتصادية التي أجريت بين المملكة والدول العربية الشقيقة ولم اكن مستعد ا لهذه الكتابة بما يجب من دراسة فاعتذرت اليه قائلا : انني اكتب هــذه الأيام في الأدب وليس في التجارة.قال:اليست التجارة ادبا ؟

وأعجبتني هذه اللفتة البارعة من الصديق وأخذت أفكر في الأمر .

حقا ان التجارة بمعناها الصحيح ادبا اخلاقيا قبل كل شيء. فللتجارة آدابها التي ان تحلى بها التاجر نجح وبرز وتمتع بكلما يتمتع به التاجر الناجح من ربح مادي وأدبي على السواء .

ونستطيع ان نختصر هذه الاداب في كلمة واحدة هــي

الخلق ، ولقد مدح الله تعالى نبيه الكريم عليـــه صلوات الله وسلامه فوصفه بأنه على خلق عظيم ، وكلمة الخلق هي جماع الفضائل التي تطلب من التاجر وغير التاجر ، ولكنها في التاجر الزم وبه الصق .

فالصدق ، والأمانة ، والوفاء بالعهد ، كل هذه الصفات آداب خلقية ان لم تتوفر في التاجر ، لم يستقم له حال مهما طال به المطال ، ولكن ماذا عن الأدب ؟ اتجارة هو ... والجواب على ذلك كلا ولا استثناء فلن يكون الادب تجارة ولكنه قد يكون ثروة لا تقدر بمال ، ومجدا لا يبلغه أصحـــاب التجارة والأموال ؟

الوَرَق مَوجُود

كنت رئيساً لتحرير جريدة صوت الحجاز خلال الحرب العالمية الثانية ولم يمض على الحرب إلا بضعة شهور حتى أصدر جلالة المرحوم الملك عبد العزيز أمراً بإيقاف الصحف عن الصدور لعدم وجود الورق والاكتفاء بجريدة القرى الرسمية وكان لدينا في صوت الحجاز كمية من الورق تكفي لصدور الجريدة وقتاً طويلاً ، وكنا نتقاضى اشتراكاً شهرياً من الحكومة مقداره اربعمائة ريال عن اشتراك الحكومة والدوائر الرسمية في الجريدة ، وبإيقاف الصحف توقف هذا الإشتراك ، وكانت الأربعمائة ريال مبلغاً كبيراً جداً في ذلك الوقت ... وبالإتفاق مع سعادة رئيس الشركة العربية للطبع والنشر كتبت إلى جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله كتاباً قلت فيه :

« لقد أصدرتم جلالتكم الأمر بتوقيف الصحف لعدم وجود الورق، وبما أننا في جريدة صوت الحجاز نملك كمية من الورق تكفي لصدور الجريدة وقتاً طويلاً فإننا نتعهد لجلالتكم بأننا لن نطالب الحكومة بإعطائنا ورقاً لإصدار الجريدة ، وإن كان هذا الأمر لحكمة سياسية اقتضاها رأي جلالتكم فالرأي ما ترونه ولكن جريدتنا تتقاضى اشتراكاً شهرياً مقداره اربعمائة ريال من وزارة المالية ، وقد توقف صرف هذا الاشتراك نتيجة لتوقف الجريدة عن الصدور ، وفي الجريدة ومطبعتها موظفون تتأثر أحوالهم بتوقف الجريدة فلا أقل من الإستمرار في صرف هذا الإشتراك الشهري لنا ...» ولم أتلق أي جواب على خطابي ، ولكن الأمر صدر برقياً إلى وزارة المالية من جلالته بالاستمرار في صرف مخصص الجريدة الشهري وعدم توقيفه .

وكانت جريدة صوت الحجاز فيما أعلم هي الجريدة الوحيدة التي كانت تقبض قيمة الإشتراك طوال مدة توقفها عن الصدور ..

قضيـة فلسطين ومجالها الطبيعي

كنت أسأل نفسي دائماً عن الأسباب الخفية وراء تأييد الغرب لاسرائيل ضد العرب ، والعداوة بين النصرانية واليهودية عداوة عميقة الجذور ، بل أن عداوة اليهود لكل الديانات الأخرى لا تحتاج إلى استشهاد ، والحركة اليهودية حركة دينية في حقيقتها مهما حاولوا اخفاءها تحت أكثف الحجب . ولقد تبين لي بعد رحلاتي المتعددة في أوروبا وامريكا أن هناك عوامل كثيرة تختفي وراء هذا التأييد. من أهم هذه العوامل أن القائمين على الأمور في اسرائيل يعالجون أمورهم مع الغرب بعقلية الغربيين ولهذا نجحوا حيث فشل العرب ، مع حق العرب الواضح وظلم اسرائيل الفاضح ، هؤلاء اليهود الذين تجمعوا في اسرائيل من شتى أنحاء الأرض كانوا يقيمون أصلا في أوروبا وأمريكا وروسيا

وبعضهم لعائلته مئات السنين في هذه الأقطار فهم أوروبيون وأمريكيون بحكم الأجيال الكثيرة التي قضاهـا أجدادهم في هذه البلاد ثم بحكم النشأة والثقافة والأمتزاج ، ومع كل هذه العوامل التي تقضي على العنعنات التقليدية فلقد كانت الوكالة اليهودية والزعماء اليهود يعملون على اجلاء العرب عن فلسطين وخلق الوطن القومي اليهودي فيها وهذا هو حلم الأجيال لدى اليهود منذ ان حكم الله تعالى عليهم أن يتيهوا في الأرض .

لست أريد للعرب أن يفعلوا كما فعلت يهود فيدرسوا الطريقة التي يتفاهمون بها مع الغربيين أو الروس فالمسالة بيننا وبين اسرائيل لا تحل الان بالتفاهم مع الشرق أو الغرب ، وانما أريد أن أقول أن حركة اسرائيل حركة دينية في حقيقتها ، ونحن هنا في الشرق تروج بيننا أقوال مضللة تدعو الى فصل الدين عن السياسة ، والأعتماد في معالجة أمورنا بالعقل السياسي وحده بعيداً عن هدي الدين وتشريعه . وهذا هو عين الخطأ ، بل وموضع الخطر . أن قضيتنا مع اليهود اسلامية قبل أن تكون قضية وطنية أو سياسية ، فلو لم يكن لليهود تاريخ ديني سابق في فلسطين لما وضعوا نصب اعينهم اقامة دولتهم فيها ، بل إن قضية فلسطين بالذات هي قضية اسلامية حتى مع الغرب نفسه

والحروب الصليبية التي امتدت عبر القرون لم يعتبرها الغرب منتهية إلا حينما دخل اللورد اللنبي الى القدس وقال كلمته المشهورة « الآن انتهت الحروب الصليبية » ولست أقول إن على المسلمين جميعاً أن يعتبروا قضية فلسطين قضيتهم فهذا قول بديهي يعرفه المسلمون جميعاً وليسوا في حاجة الى من ينبههم اليه ، وانما أقول إن على قادة العرب والمسلمين وعلى الفلسطينيين الذين يأخذون بزمام القيادة أن يضعوا قضية فلسطين في مجالها الحقيقي وهو المجال الأسلامي ، وأن يستنفروا لها هذه القوة الهائلة من المسلمين المجاهدين يبدأون بأسمها الحقيقي وهي الجهاد في سبيل الله واخراج اليهود من أرض الأسلام التي احتلوها غصباً وكيداً ، ويجب أن تتحول كل البلاد العربية المتاخمة لفلسطين الى رباط للمجاهدين يدخلون منها الى الارض الأسلامية ، لقضّ مضاجع اليهود وتشتيت شملهم ، وانني لأتصور الآن ماذا تكون عليه ، حينما يتدفق المجاهدون من الأردن ومن سوريا ومن سيناء ومن غزة ومن لبنان ومن السعوديه عبر خليج العقبة ، ومن كل شبر في أرض العرب يؤدي الى فلسطين ... سينطلق المجاهدون من كل مكان ، ولن تستطيع اسرائيل ولو وقفت قوات الدنيا كلها معها أن تصد هذا الجيش

الأسلامي الذي يحيط بها من كل جانب والذي يشغلها ليل نهار ، لن تستطيع قوات الدنيا كلها أن تفعل شيئاً الى جانب هذه الجيوش التي تدفعها العقيدة ، والتي يقودها الأيمان ، لتفتح البلاد العربية المتاخمة لأسرائيل حدودها للمجاهدين ، ولتقم في كل بلد اسلامي هيئة تساعد المجاهدين وتمونهم بما يحتاجون اليه من مال وسلاح ، وليتركوا يتلاقون مع اليهود في كل مكان وليبدأ الفلسطينيون المسلمون بأنفسهم فهم أهل الدار وأولى الناس بالفداء والثأر ولكن يجب عليهم أن لا يغفلوا هذه القوة الهائلة من المسلمين تمدهم بالعون وتمدهم بالدعاء ...

الوقت والتنظيم

قمت في الأسبوع الماضي برحلة الى المنطقة الشرقيةوحجزت مقعدي بطائرة البوينج المتوجهة الى الظهران عبر الرياض ، وقيل لنا أن الحضور الى المطار يجب أن يكون في التاسعة وخمس وأربعين دقيقة وحضرت في الموعد المحدد ووجدت المطار مكتظاً بالمسافرين ومرت الدقائق حتى تجاوز الأنتظار حدود المعقول وبلغت الساعة الحادية عشر وتململ المسافرون وضجروا وكلما سمعنا حركة في المذياع تهيأ الناس للتحرك ولكن ما ينطق به المذياع كان شيئاً آخر غير الذي ينتظره المسافرون ، ولم يتفضل المسؤولون في الحركة حتى بأخطار المسافرين بأن هذا التأخير اقتضتهضرورة طارئة كما يحدث في كل مطارات الدنيا ولدى شركات الطيران . وضقنا ذرعاً بهذا الأنتظار الممل

وبالغبار الذي كان يتصاعد من حركة الطائرات الموجهة لقاعة المسافرين وأخيراً دعينا الى الطائرة والشمس تجنح للمغيب بعد انتظار ساعتين وربع الساعة وما حدث في عودتي من الظهران كان أدهى وأمر فقد وصلت الطائرة الى مطار الرياض في وقت الظهيرة ولم يسمح للركاب بمغادرة الطائرة وبقينا ساعة ونصف الساعة من السادسة والنصف الى الثامنة وتكرر تعداد المسافرين واخراج بعضهم وأحضار آخرين محلهم وضاقت أنفاس الناس في جو تبلغ درجة حرارته الأربعين إن لم تزد عن ذلك بكثير.

ليس يكفي أن تكون لنا طائرات بوينج، وليس يكفي أن نملك أسطولا من أضخم أساطيل الطيران ثم لا نعني بأبسط الواجبات نحو المسافرين ... الوقت الذي يضيع عبثاً على الناس في الأنتظار، والطريقة المرتجلة التي يتم بها تعداد المسافرين المرة تلو المرة، كل هذه الأمور يجب أن تصبح في مؤسسة الخطوط الجوية السعودية من آثار الماضي، ولقد مر بالخطوط السعودية زمان التزمت فيه باحترام الوقت فكانت طائراتها تقلع في الموعد المحدد دون تأخير، ولكن هذا النظام بكل أسف لم يطل به الزمن وعاد كل شيء الى ما كان عليه. إنني من المسافرين الذين يفضلون السفر دائماً على الخطوط السعودية وحتى في الوقت الذي لم

تكن طائراتها مجهزة بطائرات البوينج كنت أفضل السفر عليها دون غيرها .

إنني أشعر وأنا في الطائرة السعودية إنني في أرض بلادي وهذا الشعور وحده يحملني على الأعتزاز بالوطن وأهله .

إنني أعرف إن الخطوط الجوية السعودية تضم كفاءات ، كثيرة ودائماً كنا نجد من موظفيها سواء في المطار أو في داخل الطائرة مجاملة كريمة تملأ نفوسنا بالمسرة ، ولهذا فإننا نلح في أن تأخذ بأسباب التنظيم المعمول بها في كل شركات الطيران فتحدد وقت الحضور الى المطار كما تحدد وقت السفر وتلتزم هذا الموعد بدقة تامة وانا واثق أنها بهذا ستكسب الكثير من السمعة الحسنة ، كما أنها ستوفر على الناس الكثير من الوقت وما اثمنه في هذه الأيام . ،



أبو تراب... والفتنة النائمة

عفى الله عن أبي تراب فقد اتخذ من حديثي القصير المنشور عن الهجرة النبوية الكريمة بعدد الجمعة ٢٩ ذو الحجة ٨٤هـ من جريدة البلاد الغراء مجالا للحديث عن اختلاف المذاهب .. فلقد ظن سامحه الله أني أفضل مذهب الإمام مالك على ما عداه فكتب ما كتبه باسلوب يوقظ الفتنة النائمة ويفتح أبواب الجدل بين المذاهب الإسلامية . وإني لأود أن يعلم الشيخ حفظه الله أني في واد وهو في واد ، فحينما قلت عرضاً في كلامي عن الهجرة أن عمل أهل المدينة كان حجة في الإتباع لم أقصد بهذا تفضيل مذهب الإمام مالك رضي الله عنه عن المذاهب الأخرى وهذه الجملة جاءت اكمالاً لتسلسل الموضوع الذي يتلخص في أن المتأمل في القرآن الكريم يجد أن ما نزل منه في المدينة المنورة

كان يحمل طابع التشريع والتقنين إلى جانب التبشير والوعظ ، ومن الطبيعي أن هذا التشريع الذي كانت المدينة المنورة مهداً له ، وكان الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه هو المعلم الأكبر فيه والمفسر الأعظم للشريعة ، وكان من صحابته الكرام هم الطلاب والمريدون ، لا عجب أن تكون المدينة المنورة هي المدرسة الكبرى للتشريع في الإسلام ، ولا عجب أن يكون الصحابة رضوان الله عليهم هم أساتذة من تلاهم من التابعين ، وامتيازا لمدينة بهذه الميزة العظمى عن بقية الأمصار الإسلامية تجعلها اسوة تقتدى ، وتجعل عمل أهلها حجة في الاتباع .

هذا المعنى هو الذي أوجزته في الجملة التي أعترض عليها الأستاذ أبو تراب ، وليس فيها ذكر لمذهب الإمام مالك رضي الله عنه ولا اشارة إلى الإجماع الذي ركز بحثه عليه ودعاني إلى قراءة ما كتب عنه وعن الإختلاف بين المالكية وفقهاء المسلمين. وأود أن يطمئن الأستاذ أبو تراب أولا إلى أني لست مالكي المذهب فلقد درست الفقه الشافعي وما زلت والكبار من أسرتي نتبع هذا المذهب ، وإن كان أبنائي اليوم يدرسون مذهب الإمام احمد بن حنبل ويتبعونه ، ولم أر في هذا شيئاً يدعو حتى إلى التفكير فضلاً عن المناقشة ، فإنني أؤمن بأن الأئمة جميعاً إنما

يأخذون مذاهبهم عن الكتاب والسنة ، وأن اختلافهم في الفروع بقدر اجتهادهم وأن هذا الاختلاف اصبح مدعاة للتيسير على المسلمين ، وما أحوج الأمة الإسلامية إلى أئمة أعلام يسرون عليها وبما يتفق مع تطور الزمان والمكان ، ولعلنا نلمس استجابة قريبة للدعوة التي وجهها الصديق الأستاذ محمد حسن كتبي لفقهاء المسلمين فانها من صميم حاجات المسلمين في هذا الزمان .

وبعد فلقد كنت وما زلت اعتقد أن الإنشغال بالإختلافات المذهبية بين علماء المسلمين والمقالات في هذا الاختلاف مضر بقضايا الإسلام الكبرى وخاصة في هذا العصر الذي ينظم فيه الغزو الفكري ضد الإسلام ، والذي أخذ به المسلمون على غرة فإذا بهم يهدمون بيوتهم بأيديهم ، وإذا بهم يتركون الميدان خالياً أمام هذا الغزو السافر للعقيدة الإسلامية فيروجون للمذاهب الدخيلة ويمكنون لها في ديار الإسلام ، والقرآن يتلى بين أظهرهم ليل نهار ، والمآذن تضج بالتكبير ، والمساجد تضيق على رحبها بالمصلين ، كأن الإسلام استحال إلى شعائر وطقوس ولا حرج بعد ذلك ان تركنا روح الإسلام وجوهره واستبدلنا به القوانين الوضعية والمذاهب الفاسدة الفاسقة .. ان في عنق علماء المسلمين

وكتابهم أمانة يجب اداؤها في هذا العصر ، عليهم أن يبعثوا روح الإسلام قوياً في نفوس المسلمين وخاصة في شباب المسلمين من فتيان وفتيات ، عليهم أن يقعدوا بالمرصاد لكل أفاك يزين للمسلمين هذه المذاهب الدخيلة باسم الإسلام ، ولكل دساس يبث الغواية باسم التطور ، والفساد باسم الحرية ، فما خدع الناس بأكثر من هذه الألفاظ البراقة التي تحمل غير معناها وتسوق المسلمين إلى هاوية من الإنحلال في الخلق والوهن في الدين .

إن المسلمين اليوم في معركة فكرية كبرى ضد خصوم الإسلام سواءا كان هؤلاء الخصوم من المسلمين المخدوعين أم من الكفرة والملحدين فهم في حاجة إلى أن يوحدوا جهودهم للانتصار في هذه المعركة بدلا من الإشتغال بأمر الإختلاف بين أئمة المذاهب من المسلمين ، ليتركوا هذه الخلافات جانباً وليلتفتوا للعدو الذي نزل بساحتهم ليجلوه عن ديارهم وليطهروا أرضهم من رجسه ودنسه ، ثم لينظروا بعد ذلك إن شاءوا في أمر هذه الخلافات المذهبية ليخلقوا منها معارك تثير الفتن النائمة ولكن ليحاولوا تصفيتها وتهذيبها لتخلص لجماعة المسلمين بريئة من كل شائبة ، صافية من كل درن ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز .

الاضـــاءة

الأضاءة التي نظمت في السنوات الأخيرة لبعض الشوارع في جده لا غبار عليها من ناحية المظهر والمخبر ، ولكن الملاحظة الواردة هي انها كانت متقاربة أكثر مما ينبغي ، وكـــان في الامكان اطالة الابعاد بين عمود وآخر بحيث تكون المساحات المضاءة أكثر ، وربمـــا بلغت الضعف في بعض الشوارع .
والأضاءة من حيث هي فن تستلزم مراعاة اشياء كثيرة ففي الشوارع الرئيسية التي تقوم فيها المعارض على الجانبين والتي تزدحم فيها حركة المرور ازدحاما عظيما يستحسن ان تكون فيها الاضاءة قوية بحيث تظهر جمال الشارع وتمنع أخطار المرور وكذلك الامر بالنسبة للميادين ومداخل المدينة ومعالمها ، أما بالنسبة للمناطق السكنية فيجب أن تكون الأضاءة هادئة

ومتباعدة لتضمن الهدوء وراحة الاعصاب للسكان ولقد رأيت بنفسي مناطق سكنية في كثير من انحاء العالم تراعى فيها الأضاءة الهادئة ، لتضيف إلى سكون الضاحية هدوءا حالما يبعث على الراحة للساكنين .

انني أعتقد ان بوسع بلدية جده ان تستفيد من اعمدة النور الحالية بتوزيعها على مناطق اخرى من المدينة ، ولتمتد الاضاءة مساحات اطول بتكاليف ضئيلة ، ومن الخير ان تكون الأضاءة موزعة على أحياء المدينة توزيعا عادلا ، بدلا من توفرها إلى حد الجهرة في بعض الاماكن ، وانعدامها كلية في الأماكن الأخرى ، والمسألة تحتاج إلى دراسة للشوارع والاحياء السكنية وتوزيع الاضاءة بينها توزيعا عادلا وبطريقة مدروسة ومنظمة . ،

الأدب وأصالة الكلمة

قدم لي ابني موضوعا كتبه ، يرغب ان يتعرف على رأيي فيه ، فاشرت إلى بعض الكلمات العامية ، اطلب منه ابدالها بكلمات فصيحة فقال .. انني وزملائي لا نفهم بعض الكلمات فيما تكتب يا ابي وامثالك من الأدباء ... قلت يا بني ان الأدب لا يكون أدبا الا اذا كان للكلمة شرفها واصالتها ... والأديب الحق هو الذي يرفع القارىء إلى مستواه وليس هو الذي يهبط بادبه إلى العامية والابتذال ... وخير لك ولزملائك أن تسألوا عما لا تعلمون لتفيدوا علما باللغة ، وتذوقا للبيان ، فتنسجوا على غرار الاعلام من ادباء هذه الأمة وشعرائها في قديم وحديث ، والا فما هو الفارق بين الأديب في الصحيفة والكاتب في المتجر ؟ ولست ادعو بهذا إلى تعقيد

وتكلف ، ولا إلى غموض أو ابهام ... وانما اطلب للأديب ان يكون اديبا .. يحرص على الكلمة وجرسها كما يحرص على المعنى وحسن الاداء ، ولن يكون الأديب أديبا الا اذا اشرب قلبه حب اللغة التي يكتب بها فليس المعنى الذي يريد أجمل ما يوائمه من كلمات ...

مِن مَعَانِي الهِجرَة

كانت هجرة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه من مكة إلى المدينة متنفسا للدعوة الاسلامية ومنطلقا لهـا .. ففي المدينة وجدت الدعوة إلى الله تربتها الخصبة فنما غرسها وأينع ثمرها وآتت أكلها ثم انتشرت في الآفاق فسارت الوية الأسلام تطهر الجزيرة من رجس الوثنية وتدك معاقل الشرك وتنشر نور السماء فتعلي كلمة الحق وتبذر بذور الايمـان .
والمتأمل فيما نزل من القرآن في مكة ثم في المدينة يجد ان اغلب السور المكية تحمل طابع الدعوة بما يتضح في ثنايا ها من قصص الأمم الغابرة والرسل والانبياء إلى قومهم ، كما تحمـل في قضاعيفها الدعوة إلى الاسلام والتبشير به بينما ان السور المدنية تحمل إلى جانب ذلك التشريع والتقنين ، ولهذا كان عمل اهل

المدينة بحجة في الاتباع ففي مكة كانت الدعوة ، وفي المدينة كانت الشريعة والدعوة هي الوسيلة والتشريع هو الغايـــة ، وكلاهما متمم للأخر . وهذا الذي وقع انما هو التدرج الطبيعي لمنطق الاشياء فما كان للشريعة ان تقنن الا متى وجـــدت جمهورها الذي يتقبل هذه القوانين فينفذها ، وما كان لهذا الجمهور ان يوجد الا بعد الدعوة والاقناع ، وهكذا كان ، وما هو الا وحي يوحى ، ذلك تقدير العزيز العليم .

وبعد فما احوج المسلمين اليوم ان يهاجروا إلى الله ورسوله كهجرة نبيهم عليه الصلاة والسلام قبل اربعة عشر قرنا من الزمان ، ما احوج المسلمين إلى هذه الهجرة الروحية بعد ان ارتد المسلمون إلى جاهلية تلبس ثوب الاسلام ، وإلى شرك يرتدي مسوح الايمان . ما احوج المسلمين إلى الهجرة إلى دين الله النقي الطاهر المنزل من السماء بعد ان ارتد معظمهم إلى شرعة الملاحدة ودستور الأنحراف والزيغ . وأي جاهلية أعظم من هذه الدعوات التي تملأ أقطار المسلمين مستقاة من شيوعية ماركس وانحراف انجلز ووسوسة عفلق من جنود ابليس ودعاة الشيطان .

كيف يجوز للمسلمين ان يتناسوا وحياً نزل به جبريـــل

الأمين من فوق سبع سموات على رسولهم الكريم صلوات الله وسلامه عليه فيهجروا قرآنهم ، ويضيعوا شرعهم ليرتدوا إلى قوانين البشر من نصارى ويهود وملحدين ؟

لقد استبدلنا الجوهر النفيس بالزائف الخسيس وتركنا الذهب ورضينا بالنحاس فكانت صفقتنا اوكس الصفقات ، وكان ما نحن فيه من تقليد للغرب فيما تفه وسفل حتّى صرنا إلى ما صرنا اليه من وهن وذلة ونحن نعد بمئات الملايين .. لقد أعطانا الرسول صلوات الله وسلامه عليه القدوة من حياته فحينما ضاقت مكة بدعوته ، هاجر إلى المدينة المنورة فوجد بها النصر والتأييد ، ووجد فيها القوة والمنعة ، وانطلق منها الاسلام مرفوع اللواء غامر القوة منيع الأركان .

والمسلمون اليوم مدعوون إلى هجرة روحية إلى الله مدعوون إلى هجرة هذه القوانين الوضيعة ، والدعوات المرتدة الزائفة ، مدعوون إلى هجرة جاهلية القرن العشرين والعودة إلى قرآنهم وإلى شرعة رسولهم الأمين وسيلقون في هذه الهجرة ما لقيه رسولهم صلوات الله عليه من نصر وتأييد ، وسيلقون فيها ما لقيه من امن وكرامة ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز .



قال لي صاحبي ..

لقد طوفت في كثير من بلاد الله ، ورأيت من بني البشر الوانا واجناسا فما هو الفارق بين الناس هنا وهناك . قلت ان الناس هم الناس في كل مكان فيهم الصالح والطالح والبر والفاجر فلا فارق فيما أرى بين انسان وانسان . المادة الأصلية في الأنسان واحدة وان تباعد الزمان او اختلف المكان فانسان الشرق هو انسان الغرب والانسان في القرن العشرين هو الأنسان في القرن العاشر كلاهما خلق من خلق الله لا يتفاوتون الا بالخلق الكريم ، والطبع السمح .

قال فانت لا ترى ان هناك اختلافا بين الناس ، قلت ان الأختلاف موجود ولكنه في المظهر لا في الجوهر ، وهذا الأختلاف المظهري تحكمه أسباب كثيرة ، تحكمه اسباب

دينية وأسباب أقتصادية ، وتحكمه العادات المتوارثة ، والبيئات التي تكيف نفسها وفق الأجواء التي تعيش فيها.وفيما عدا هذه الأختلافات المظهرية فان الناس في كل زمـــان ومكان لا يتفاضلون الا بمقدار ما حباهم الله من خلق ودين .

الطبيعة البشرية واحدة بما فيها من محاسن ومساوىء فمن ظن ان انسان الغرب يمتاز عن انسان الشرق بطبيعته كأنسان فهو جاهل بتاريخ البشر والحضارات .

قال فما الذي يعجبك هناك وما الذي لا يعجبك ، قلت ما يعجبني في اوروبا كثير ولكن الذي ضاقت به نفسي اشد ضيق هو انني وجدت القوم يعملون كالآلات ، وقد تغلب الجانب المادي على ذواتهم فطمس اشراق ارواحهم وليست الحياة عملا وحسب ولا مادة مجردة .

لقد التقيت بكثير من الرجال هناك واقصد رجال الأعمال فوجدتهم يتحدثون عن العمل في كل وقت ، ولقد اعجبني إكبابهم عـــلى أعمالهم وتجويدهم لهـــا واتقانهم لصناعاتهم ودراساتهم لدقائقها ، ولكن الذي ضقت به ذرعا هو تفانيهم في هذه المادة واستئثارهم لها .

ولقد رأيت هنا في الشرق وفي بلادنا أيضاً كثيراً من

الناس يفنون في أعمالهم ويستغرقون فيها حتى يصرفهم هذا الاستغراق عن الجوانب الروحية المشرقة التي تحفل بها الحياة ، ولست أرغب ولا استطيع أن أعيش كآلة ولو كانت هذه الآلة تنتج الذهب أو تنبت الجوهر ، إنني أريد أن أعيش كإنسان يأخذ حظه من العمل فلا يتطرق اليه الملل ، ويأخذ حظه من الراحة والائتناس فتشرق روحه ويتجدد نشاطه يعمل في المادة ويعيش مع المعنى ، أما هذا الإستغراق في المادة والفناء فيها فهو الأسار الذي لا تطيقه الروح ولا يطمئن اليه الوجدان .

قال ألا ترى أنهم سبقونا إلى كثير من العلم والحضارة فمن واجبنا أن نسير على الدرب الذي ساروا حتى نصل إلى ما وصلوا ، قلت إنني لا أختلف معك في هذا ولكني أرى أن نحتفظ بروحيتنا وبما ورثناه من أدب ودين ، فنطرق أبواب العلوم والصناعات ونحبذ لها شبابنا وإمكانياتنا ، ونستثمر ما حبانا الله من كنوز الأرض باسلوب العلم الحديث وباسلوب العصر الذي فيه نعيش ، ولكن حذار أن نندفع في هذه المادية التي اندفع فيها الغرب فنسي الله .. وطغى بالمادة حتى أصبح عبداً لها ، وجرد المرأة من انوثتها فأصبحت تعمل لغير ما خلقت له . ان علينا أن نتعلم وان نعمل ولكن علينا أن نحتفظ

بجوهر ديننا ، وادب امتنا قبل كل شيء .

علينا أن نجابه مشاكل العصر الحديث بروح الإسلام التي تعطي الأجير أجره قبل أن يجف عرقه ، والتي لا تفرق بين جنس ولون إلا بالتقوى ، فلا نندفع فيما تورط فيه غيرنا من تفضيل طبقة على طبقة أو الإستعانة بالنظم المستوردة والسير في طريق التفريق بين الناس . وإذا ما اتخذنا من الدين نبراساً لنا فثق أننا سنصل إلى ما وصلوا وستكون حياتنا أكثر سعادة واشراق لأن روحانيتنا ستضيء لنا دروب الحياة .

حدائق التيفولي

من أجمل ما يراه السائح في مدينة كوبنهاجن حاضرة بلاد الدنمرك حدائق التيفولي وهي حدائق كبيرة تضم العديد من المطاعم والمشارب ودور التمثيل ، والملاعب المختلفة ويؤم هذه الحدائق ملايين السائحين في كل عام حيث يستمعون إلى الفرق الموسيقية المنتشرة في أنحاء الحديقة بأجور زهيدة للغاية كما يشهدون الألعاب البهلوانية التي يتقنها الناس في شمال أوروبا ويحبونها ، ودخلنا إلى حدائق التيفولي مع الداخلين وجسنا خلال الحديقة المكتظة بعشرات الألوف وشهدنا الألعاب الرياضية والبهلوانية واستمعنا إلى الموسيقات المختلفة وإلى القطار الخاص بالحديقة لمن اراد مشاهدتها في نجوة من الزحام العجيب وبينما كنا نشاهد الكثير من المشاهد استرعى انتباهي بناء شرقي مشمخر تزينه المآذن من مختلف الأنحاءوتتوسطه قبة كبيرة وقد زينته الثريات الكهربائية أجمل زينة ... ووقفت مشدوها فلقد ذكرني هذا البناء بالمسجد النبوى الشريف صلوات

الله وسلامه على صاحبه الكريم وسألت من حولي عما يذكرهم هذا المنظر في قلب أوروبا الشمالية فقالوا جميعاً المدينة ... القبة الخضراء ... المآذن ... وتوجهنا إلى هذا المبنى العجيب ووجدت رجلا يلبس الاسموكن يستقبل الناس في مدخله فأعطانا تذكرة لكل داخل وطلب مني أن أعيد إليه التذكرة حين خروجي ولم يتقاض عليها اجراً ولم يقدم لي سبباً واضحاً لذلك وكنت متلهفاً للدخول فلم أتلبث وأنا أسأل الله في نفسي أن لا يكون هذا البناء ملهى من الملاهي الماجنة أو بؤرة من البؤر الخلاعية واستقبلني بهو عظيم انتثرت فيه الموائد والتحف حولها الطاعمون وعرفت أن المبنى لا يعدو أن يكون مطعماً كبيراً من مطاعم الحديقة ، وتقدم إلي الساقي وأرشدني إلى المائدة التي يختارها لي ، وطلبنا عشاءنا ، وأخذت أتجاذب أطراف الحديث مع الساقي الذي يقوم على خدمة المائدة ، ثم سألته : قل لي يا صاحبي ماذا يرمز إليه هذا البناء الذي نحن فيه ؟ قال لا أدري إنه فقط شيء غريب ، أليس جميلاً ؟ قلت أكثر من جميل ! واستطرد قائلاً : إننا نحاول اجتذاب السائحين وإرضاءهم بكل ما هو غريب وجميل ... قلت ولكن هذا المنظر من بلادي . وكان الساقي اربياً فقال على الفور مرحباً بك في بلدك ..

رجلٌ في التراب ورأسٌ في السحاب

كان الأستاذ محمد جميل حسن رحمه الله استاذا لنا بمدرسة الفلاح بجده وكان يعلمنا الجغرافيا والإنشاء والحساب ، وكان مربياً قديرا واستاذاً مثالياً ، وقدوة تحتذى ... وكان يختصني بكثير من الرعاية والتشجيع ، وكان درس الجغرافيا أو كما يسمونه الآن (علم تقويم البلدان) من أحب الدروس إلينا على عهد الأستاذ جميل حسن فلقد كان درساً في الوطنية وفي الإقتصاد قبل أن يكون درساً في أسماء المدن والممالك والبحار والغابات ، وانني لأذكر كيف كان يفيض ويتدفق حينما يقف أمام خريطة البلاد العربية فيتحدث عن كل قطر منها وما تضمه أرضه من خيرات ، وكيف يهاجم الإستعمار الذي كان ما يزال جاثماً على أرض أجزاء كثيرة من البلاد العربية ،

وكان يتجلى حنقه وسخطه حينما يصل إلى فلسطين فينقلب إلى خطيب مصقع وهو يومىء بعصاه الصغيرة إلى موقعها من الخريطة ويقول هذه القطعة المغتصبة من أرض الوطن العربي هذا الجزء العزيز على الأمة العربية جمعاء لن نقبل بتسليمه لليهود ... ويفيض في مثل هذه المواقف بحماس يحيل نفوس التلاميذ شعوراً متدفقاً من الغيرة والحماس ، وأعطانا الأستاذ يوماً في درس الإنشاء البيت التالي وطلب منا أن نشرح مقصد الشاعر منه وهذا هو البيت :

وكن رجلاً رجله في التراب

وهامة همته في الثريا

ولم يفتح الله علينا بشيء ، فهمنا أن المقصود أن يكون الرجل رجله في الثرى ولكن ما هي هامة الهمة هذه المطلوب أن تكون في الثريا . وحضرنا في اليوم التالي ، وجاءنا زميلنا الأستاذ عبد الكريم بكر — وهو الآن من كبار موظفي الشركة التجارية العربية بجده — وقال: لقد عرفت حل البيت. قلنا هات ، قال: ان مقصد الشاعر أن يكون الإنسان رجله في التراب ورأسه تدق السحاب ، قال إن الهامة هي الرأس والثريا هي نجم مشهور في السماء فهل تريدون أن تخلقوا معاني من غير

كلمات الشاعر ، وفهمنا ضمناً أنه استعان بأحد العارفين في الشعر فتوصل إلى هذه المعاني ، وكتبنا جميعاً ما قال الزميل عبد الكريم أن مقصد الشاعر أن يكون الإنسان له رجل مغروسة في التراب ورأس ملتصق بالسحاب وقدمنا الكراسات للأستاذ وكلها مكتوبة في سطر واحد وصيغة واحدة دون تنويع أو تغيير واعتقد الأستاذ جميل أننا نسخر منه وكان صارماً بقدر ما كان مخلصاً ونظر إلى كراستي واستدعاني من دون التلاميذ وقال حتى أنت فعلتها معهم؟ وصمت حياء وخجلاً . وعاقب التلاميذ جميعاً دون استثناء.وكانت هذه هي المرة الأولى التي أتعرض فيها لعقابه فكان شعوري بالخزي من العقاب أكثر من شعوري بالعقاب نفسه . وفي مساء هذا اليوم بالذات كنا نسير خارج البلدة وكان الأستاذ جميل حسن يقوم بنزهته المسائية وحيداً كعادته ، واقترب مني أحد الناس وسألني هل تعرف الأستاذ جميل حسن المدرس بمدرستكم؟ قلت نعم.قال: وأين يسكن؟قلت: لا أدري ولكنه أمامك وأشرت إليه فذهب إليه وتحدث معه قليلاً ، وعدت إلى منزلي وعدنا في اليوم التالي إلى المدرسة ولكن الأستاذ جميل لم يحضر في ذلك اليوم ولا فيما تلاه من أيام وقيل لنا أخيراً انه سافر إلى مكة المكرمة

وانقضت شهور طويلة علمت بعدها أن الله تعالى اختاره إلى جواره فتأثرنا جميعاً لوفاته . رحم الله الأستاذ محمد جميل حسن فلقد كان استاذا عظيماً ومربياً قديراً وكان أول من علمنا الوطنية .

قَاعِدَة الذَهَب

في أعقاب الحرب العالمية الثانية خرجت كثير من الدول عن قاعدة الذهب التي كانت تسير عليها الحكومات بالنسبة للنقد ، ولكن بريطانيا لم تخرج عن هذه القاعدة في ذلك الوقت بالرغم من أن كل الدلائل كانت تدل على أنها ستفعل ، واستدعاني أحد كبار المسؤولين وطلب مني أن أكتب شيئاً في هذا الصدد فكتبت مقالاً قصيراً تنبأت فيه بقرب خروج انكلترا عن قاعدة الذهب ونصحت المستوردين من التجار أن يحتفظوا بما لديهم من نقد نادر حتى يتضح وجه الأمر في هذا الموضوع وبعثت بالمقال إلى جريدة البلاد السعودية فنشرته في صدر الصفحة الأولى . وفي اليوم التالي زارني في مكتبي مصري مسيحي اسمه ميشيل سمعان يعمل مترجماً بالسفارة

البريطانية بجده منذ وقت طويل .. وبعد أن عرف نفسه إلي ولم يكن مجهولاً عندي تطرق إلى ذكر المقال المنشور بصحيفة البلاد ليتأكد أنني الكاتب فأكدت له ذلك . قال إن السكرتير الأول أو الثاني بالسفارة البريطانية لا أذكر الآن يرحب في مقابلتك فهل لديك ما يمنع من هذه المقابلة ، قلت كلا بطبيعة الحال. قال : فمتى؟ قلت : سأخبرك غداً بالموعد... واتصلت بالمسؤول الكبير وأخبرته الخبر قال ذلك ما كنا نبغي... فاذهب وانظر ماذا لديهم . وفي اليوم التالي اجتمعت بالسكرتير البريطاني بدار المفوضية البريطانية وقال لي بعد المجاملات المعتادة أود أن أعرف كيف عرفت أن الحكومة الإنكليزية ستخرج عن قاعدة الذهب؟ قلت: إنني لم أقل أنني عرفت ، ولكني بحكم اشتغالي بالشؤون الإقتصادية استنتجت أن خروجها عن قاعدة الذهب أصبح أمراً محتوماً . قال: ولكن هذا لا يمكن أن يعرفه إلا وزير مالية بريطانيا (وكان وزير المالية البر يطاني في ذلك الوقت من ألمع رجال الإقتصاد في العالم ومن أقدر وزراء المال على الإطلاق) قلت إن هذا صحيح ولكنه لا يمنع أي كاتب أن يبدي رأيه فيما يعرض له من شؤون ... قال فإنني أرجو أن تكتب مرة أخرى وتنفي ما ذكرته سابقاً ،

واردف إن بريطانيا لن تخرج عن قاعدة الذهب وان وزير ماليتها قد أعلن ذلك قبل وقت قصير. قلت: إنني لن أنفي ما كتبت ، ولكن في وسعكم أنتم أن تردوا بما تشاؤون ... وانتهت الزيارة وأخبرت صاحبي المسؤول بما دار فيها ... وبعد أيام كنت في زيارة الأستاذ عبد الله عريف رئيس تحرير جريدة البلاد السعودية بمكة فأخبرني أن السفارة البريطانية أرسلت ردها على المقال.قلت: ولكنكم لم تنشروه... قال: لأنه كان شديداً للغاية .. قلت: إنني أرحب بنشره وسأعلق عليه بما يتراءى لي بعد ذلك .. ولكني فهمت منه أن الرد لن ينشر ولست أدري حتى الآن إن كان الأستاذ عبد الله عريف تصرف في هذا الأمر بحكم عمله كرئيس لتحرير جريدة البلاد السعودية أم أن هناك عوامل أخرى ...

وبعد اسبوع واحد فقط أعلن وزير مالية بريطانيا خروجها عن قاعدة الذهب كما توقع كل من له إلمام بشؤون السياسة أو الإقتصاد في ذلك الزمان ، وقابلت المسؤول الكبير في اليوم التالي وابتسم فقلت له: ما رأيك في التعليق على الموضوع ؟قال: لا حاجة بنا إليه ، إن الخبر نفسه هو أكبر تعليق ...



الترحيب بالغرباء

من أجمل ما رأيته في شمال أوروبا حسن استقبال الشعب للسائحين فإذا قدمت إلى الفندق مثلا أو إلى شركة الطيران استقبلك المختصون وعلى وجوههم ابتسامة كبيرة وحيوك مرحبين وهم بهذا يشبهون العرب في الترحيب بالزائر والغريب ولقد رأيت هذه الظاهرة واضحة وملموسة في بلاد السويد والدنمرك بينما انك لا تكاد تسمع كلمة الترحيب هذه في غيرها من البلاد.نعم إن المقابلة عادة تكون حسنة وسارة ولكن كلمة مرحباً التي تعودت أن تسمعها في بلاد العرب لا تسمعها كثيراً إلا في بلاد الشمال وخاصة في السويد والدنمرك . وهناك شيء آخر يشبه فيه سكان أوروبا العرب بعض الشبه فلقد لاحظت أن سكان الشمال الأوروبي يصنعون طعامهم ويصفونه على

مائدة واحدة كما يفعل العرب تماماً . فلقد رأيت في فندق جراند أوتيل وهو أكبر فنادق استكهولم ما ئدة كبيرة مملوءة بالأطعمة السويدية تحتوي على اللحوم والأسماك ، ثم الحلويات ووضعت إلى جانب المائدة أطباق كثيرة، ولمن يرغب الأكل على الطريقة السويدية أن يقوم إلى المائدة فيأخذ طبقاً من هذه الأطباق فيملأه بما شاء من الأطعمة باردة وحارة حسبما يشتهي ثم يجلس إلى مائدته فيتناول ما اختاره من طعام ، ويعود مرة أخرى ليأخذ صنفاً آخر وهكذا حتى يكتفي ، هذه الطريقة هي نفس الطريقة العربية التي يوضع بها الطعام على خوان كبير أو يفرش سماطاً عظيماً في الأرض يتناول منه الطاعمون ما شاؤوا مثنى وثلاثا ورباع ، فلا يفرض عليهم نظام معين أو مقادير معينة أو أنواع بذاتها وإنما يأكلون حسبما يريدون ، والفارق بين الطريقتين أن العرب يتحلقون أمام السماط أو حول الموائد والطعام أمامهم بينما يقوم أوروبيو الشمال باختيار الطعام من المائدة المخصصة له ثم العودة إلى المقاعد المخصصة لهم في المطعم، ومن المعلوم أن الطريقة العربية إنما تصلح للحفلات والولائم بينما أن هذه الطريقة التي يستعملها سكان شمال أوروبا مخصصة للفنادق والمطاعم العادية ، ولقد رأيت هذه الطريقة في الطعام

في أوسلو عاصمة بلاد النروج كما شهدتها في استكهولم عاصمة السويد ، ولقد طبع هؤلاء الشماليون على الترحيب بالسواح فتجد الموسيقات في الشوارع والحدائق في مواسم الاصطياف ، وتجد إلى جانبها الرياضيون الذين يقومون بالألعاب البهلوانية المختلفة وقد أفادوا من هذه الأمور ازدحام بلادهم بالمصطافين فليس من السهل العثور على أماكن في الفنادق إلا إذا حجزت قبل أسابيع وشهور ... ولقد سررت أيما سرور ذات ليلة وكنا نتناول طعام عشائنا في أحد المطاعم الشهيرة في مدينة أوسلو وهو مطعم يجمع بين الطعام ومشاهدة التمثيل ، أقول سررت حينما رأيت طفلة صغيرة حلوة اقتربت من مائدتنا وابتسمت ابتسامة عذبة فابتسمنا لها واشرت إليها لتقترب منا فانحنت على الطريقة السويدة وكأنها سيدة لوزان فأوسعنا لها مقعداً ودعوناها لمشاركتنا العشاء ولكنها اعتذرت في أدب فطلبت لها زجاجة كوكاكولا ، وكانت لا تعرف الإنكليزية كما أننا جميعاً لم نكن نعرف لغة من لغات دول الشمال، ولكن هذه الطفلة التي لا تبلغ السادسة من العمر كتبت لي اسمها على ورقة وعنوان منزل والديها في استكهولم ودعتنا لزيارتهم هناك ، وفهمت أنها ووالديها يزوران النرويج وانهم ليسوا من أهلها ورأيت والدي

الطفلة عن بعد وهم يرقبانها في إعجاب ويشجعانها بالإبتسام ولو لم يكن الترحيب بالغرباء أصيلاً لدى القوم لما رأينا طفلة دون السابعة لا تعرف لغتنا ولا من أي بلاد أتينا تحضر إلى مائدتنا وتحيينا ، ، وعهدنا بالأطفال يخافون الغرباء ويبتعدون عنهم ، ولقد ظلت دول شمال أوروبا بمنأى عن الغايات الإستعمارية فأحبها الناس ووثقوا بأهلها ولقد وجدناهم أهلاً لهذه الثقة بما جبلوا عليه من حسن الوفادة والترحيب بالغرباء .

المعركة الفاصلة في الاسلام

ما أحوج المسلمين اليوم أن يأخذوا العبرة من أحداث المعركة الفاصلة في تاريخهم ، معركة الإسلام الأولى بين الجاهلية بكل غوائلها وهمجيتها وأصنامها ، وبين الإسلام بكل صفائه وبساطته ونورانيته . المعركة التي انتصر فيها الحق على قلة جنده ودعاته على الباطل بكل ما يملك من عدة وسلاح وعنفوان . معركة كان سلاح المسلمين فيها الإيمان بأنهم على الحق ، والثقة بنصر الله ، ولقد صدقهم الله وعده ، وأيدهم بملائكته وجنده فانتصر الإسلام على الشرك ، وانتصرت القلة المؤمنة على الكثرة الفاجرة ، وانتصرت قوة الإيمان على العدة والعديد والجند والحديد .

خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة

بعد أن أمر أصحابه بالهجرة إليها ، ترك مكة وهي أحب البلاد إليه فاختبأ مع صاحبه الصديق ثلاثة أيام في غار ثور ، بعد أن ترك علي بن أبي طالب رضي الله عنه ينام في فراشه ، وعلمت قريش بأمر خروجه فجدت في اثره ووصل إلى المدينة المنورة وأقام بها فوجد فيها الأمن والطمأنينة ووجد فيها النصر والتأييد ، ولكن مكة وأهلها كانت في ضمير النبي صلى الله عليه وسلم أملا ، وفي صلاته دعاء كان يرنو إلى اليوم الذي يظهر الله فيه هذه القلة القليلة من المهاجرين والأنصار على هذه الكثرة الكاثرة من عباد الأصنام والأوثان .. وعلم صلوات الله وسلامه عليه بالقافلة القادمة لقريش من الشام فخرج في أصحابه إلى بدر ليتعرض للقافلة وكأنه أراد بهذه الغزوة أن يبدأ المعركة بينه وبين قريش باسلوب جديد ، اسلوب الغزو والجهاد بعد أن استوفى اسلوب الدعوة والإرشاد .

وحادت القافلة عن طريق الرسول الأعظم بعد أن علمت بأمر ما دبر لها ولكن قريشاً وقد استنفرت صناديدها وفرسانها لحماية القافلة أبت إلا أن تنزل بدراً لتعلن قوتها وخيلائها فأراد الله لها هذه الهزيمة الساحقة في بدر في ١٧ رمضان .

وتلاقى الجيشان على فارق ما بينهما من قوة ، ووقف

الرسول صلى الله عليه وسلم يناجي ربه يستنجزه وعده ويدعو ويطيل الدعاء ويرفع يديه إلى السماء حتى أشفق عليه صفيه وصديقه في الغار، وانجز الله وعده وكتب النصر المبين للقلةالقليلة على الكثرة الكاثرة ولم تغن عن قريش كثرة عددها وقوة عديدها فكانت هذه هي المعركة الأولى الفاصلة في الإسلام.

ما أحوج المسلمين اليوم أن يأخذوا العبرة من هذه المعركة الفاصلة التي كان سلاح الرسول الكريم وصحبه فيها الإيمان وليس غير الإيمان فأنزل الله سكينته على رسوله وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا.

ما أحوجنا الآن إلى الإيمان نتمسك به ونجعله درعنا أمام ما يحيط بنا من محن ونحن كثير ولكن كغثاء السيل ... ما أحوجنا إلى أن نأخذ العبرة كل العبرة من تاريخ هذه المعركة الفاصلة في كل ما حاق بنا من كوارث ومحن لنعرف أننا حينما فقدنا إيماننا بنصر الله فقدنا كل شيء، فاجترأ اليهود على ديارنا وهم أذل خلق الله وتكالبت الأمم علينا وتخاذلنا حتى صرنا لعبة يتقاذفها الطامعون.

ومن أغرب مامني به الاسلام وابتلى به المسلمون إنهم تنكروا

لدينهم وتجاهلوا قرآنهم فأخذوا يتسلفون المباديء من أعدائهم والنظم من خصومهم فذلوا لأنهم انصرفوا عن الله فانصرف الله عنهم ، وأسلمهم إلى أعدائهم فكانوا عبيداً لهم .

ولقد وعد الله بالنصر لمن ينصره ، ونصر الله لا يكون إلا باتباع تعاليمه والإهتداء بقرآنه والتمسك بشريعته التي أوصى بها في هذا الشهر الكريم إلى رسوله الأمين صلوات الله وسلامه عليه ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور .

ليرجع المسلمون إلى ربهم بقلوب صادقة ونفوس مؤمنة وليتحلوا بأخلاق رسولهم الكريم صلاة الله وسلامه عليه وصحابته رضوان الله عليهم وليملأوا نفوسهم بالإيمان بالله يمنحهم الله ما منح أهل بدر من قوة وتمكين ومن ظفر على الأعداء وتأييد بالملائكة لقطع أعراق الشرك وتعلى كلمة الله فكلمته هي العليا وجنده هم الغالبون .

واحدة من أعداء الله تكفي

كان المرحوم الشيخ محمد علي ملطاني يجمع الكثير من حميد الخصال . فلقد كان محباً للخير مشاء في خدمة الناس وكان يحضر إلينا في مكتب الشيخ محمد سرور يومياً ومعه قائمة بطلبات الناس ، هذا يريد له اركابا إلى المدينة ، أو الطائف ، وهذا يعقب له معاملة في وزارة المالية ، وذلك يحتاج إلى مساعدة أو إلى وظيفة.وتوثقت صلتي به رحمه الله حتى أصبحت اعتمد عليه في كثير من أموري الخاصة ، وكان رجلا عاملا يجمع إلى الجد في العمل انس المحضر ، ومحبة الناس ، وكان منزله في الطائف أو في المدينة المنورة مجمعاً للأصدقاء والأحباب من جميع الطبقات .

وكان قديراً على إرضاء النزعات المختلقة بأساليب غاية

في اللطف وحسن المخرج وله طرائف عجيبة أذكر منه أن احدى بناته ولدت ولداً وأرادت هي وزوجها أن يسميانه أحد الأسماء الحديثة في ذلك الوقت كفاروق ولطفي وفؤاد وما إلى ذلك وأراد جد الطفل لأبيه أن يسمى باسمه وكان هذا الجد هو الشيخ حامد مؤمنة ، وتدخل الشيخ محمد علي رحمه الله في الموضوع بوصفه جد الطفل لأمه وهنا تظهر براعته في ارضاء جميع الأطراف مع تحقيق ما يريد ، واجتمع الناس لحضور التسمية وكان يقوم السيد محمد السقاف رحمه الله الذي كان معروفاً في اوساط مكة المكرمة في ذلك الوقت ونهض الشيخ محمد علي وقال نعمل القرعة وأحضر أوراقاً صغيرة مكتوباً فيها الأسماء ودعي السيد السقاف لاختيار احدها وفض السيد الورقة فإذا الإسم المكتوب بها هو (حامد) اسم جد الطفل وتهلل وجه الجد وأشرق وقال الشيخ محمد علي بلهجته المعروفة للسيد السقاف هيا سم الطفل حامد وتمت التسمية بين سرور الجميع ، وحضر المرحوم الشيخ محمد علي في اليوم التالي وحدثني عن الأمر وهو يضحك قال أرادت البنت وزوجها أن يسميان طفلهما الأول بأسماء الملوك ولم يراعيا شعور جد الطفل وهو أحق بالمراعاة فقلت لهم سنعمل بالقرعة ، وكتبت الأوراق

جميعها باسم الجد وهو حامد ، ودعوت السيد السقاف لاختيار الإسم وكان الإختيار واحداً لا مفر منه ، وهكذا حققت رغبة الجد دون أن اشعر الآخرين بأن هذا الإسم قد أملي عليهم ، قلت: ولكن ماذا لو رجعوا إلى الأوراق فوجدوها جميعاً باسم واحد ، قال: لقد مزقت الأوراق كلها حالما اعلن الإسم لئلا يعود إليها أحد .

وذات يوم كنا مسافرين من مكة إلى الطائف مع معالي الشيخ محمد سرور وكان المرحوم محمد علي ملطاني معنا ، ووصلنا إلى السيل وتناولنا عشاءنا بها ، ويبدو أن الشيخ محمد سرور كان راغباً في المبيت تلك الليلة بالسيل ولاحظ الشيخ محمد علي ملطاني ذلك فقال أليس الأولى أن نواصل السير فنبيت في بيوتنا بالطائف ونظر إليه الشيخ محمد سرور وقال له مداعباً اتنوي الزواج الليلة ؟ فضحك رحمه الله وقال: واحدة من أعداء الله تكفي... وكان يعني بهذا – ومعذرة إلى القارئات الكريمات – أن زوجة واحدة تكفيه فما له وللثانية... وواصلنا سفرنا إلى الطائف ، ومضت بضعة أيام علمت بعدها أن الشيخ محمد علي ملطاني اعرس في تلك الليلة بالطائف وأن واحدة من أعداء الله كما وصفها أو من أحبائه كما يصفها غيره لا تكفي ... وقلت له مداعباً لقد فعلتها ... وكتمت الأمر عنا

حتى ونحن رفاقك في السفر فضحك ، ثم قال إنك تعلم أن لدي سبعة من البنات وليس لهم أخ ... ولقد تزوجت الزوجة الأخرى آملا أن يرزقني الله منها أخا لهم ...

ولم تمض عدة الشهور حتى انتقل الشيخ محمد علي إلى رحمة الله تعالى مأسوفاً عليه من محبيه الكثيرين وكانت الزوجة الجديدة حاملا ، وبعد وفاته وضعت بنتاً أخرى ... رحم الله الشيخ محمد علي ملطاني فلقد كان يمثل الرجل المكي الأصيل بما طبع عليه من خلق يجمع بين الجدوالفكاهة ، وكان واسطة عقد الأصدقاء يوسع لهم من نفسه ويختصهم بالسعي في شؤونهم مع انس المحضر ولطف المدخل وعدم الادلال بشيء ما يفعل رحمه الله .

في الضّحك دَوَاء

شغلتني شواغل فكرية وعملية فثقلت نفسي وغامت ... وشعرت بالإعياء يدب في أوصالي ... وكلما حاولت التخلص من إلحاح التفكير ، تسللت الأفكار إلى رأسي وذهني فشعرت بالتوتر الشديد في افكاري –ان صح أن للتفكير توترا– وهربت إلى الفضاء في مرتفع مكشوف تلتقي فيه السماء بالماء وتصوص فيه النجوم ، وتبدو فيه انوار البواخر من بعيد ... وهب النسيم عليلا رقيقا يلثم الوجوه والأفكار وأغرقت نفسي في هذا الفيض الهادىء الرطيب وشعرت ببعض الراحة ، ولكن الأفكار عاودتني وكأنها رقيب ثقيل لا يأنس بالسكون ... وضقت ذرعا بنفسي وبأفكاري فذهبت إلى المنزل ووجدت الأولاد متحلقين حول المذياع وانطلق صوت الممثل المعروف حسن فائق في

تمثيلية هزلية تزخر بالأضاحيك ... وضحكت وبدأت أشعر بأن التوتر يتحلل من أفكاري وذهني كما تحلل العقد ، واستمرت التمثيلية الضاحكة وانطلقت أضحك واضحك ورأيت الصغيرين يضحكان بكل ما فيهما من حيوية الطفولة وحرارتها ودفقها... حتى لرأيت الدمع يجول في مآقيهما ولكنه لم يكن دمعاً وإنما كان مسرة ، ورأيت أجسامهما الصغيرة تهتز كأن ارجوحة تحركها من داخل الجسد .. من القلب ... وضحكت معهما كطفل صغير وشعرت بنفسي وقد عاودها اشراقها ... وبجسمي وقد ارتدت إليه حيويته كانما نشط من عقال ... وبالتوتر الذهني وقد انحلت عقده وزال ... وأيقنت ان من الضحك دواء لا يعد له دواء ... وإن في ترويح النفوس غذاء للأرواح ، وراحة للأبدان ولقد جاء في الأثر ما معناه روحوا النفوس ساعة بعد ساعة فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد ، وتعالى الله الخالق المبدع العظيم .

سينما ..

قال لي ابني مرة : لو بنيت داراً للسينما حديثة الطراز ، مكيفة الهواء وثيرة المقاعد ، لكان هذا مشروعاً ناجحاً ، وتكون قد سبقت إليه في التفكير والتنفيذ ، ونظرت إليه في رثاء وقلت له : أترضى يا بني لأبيك أن يكون بائع لهو وعبث؟قال : واين اللهو والعبث؟قلت : يا بني أليس في هذه الأفلام مناظرلهو ورقص وخمر ونساء؟قال : بلى.قلت : فمن يقدم هذه المناظر للناس أليس يبيعهم هذا اللهو والعبث لقاء ما يأخذ منهم من أجر ؟ فأطرق برأسه مستخذياً فاستطردت قائلاً : ليس المهم يا بني هو الحصول على المال فما أكثر الطرق التي تؤدي اليه ، دائما المهم أن تحصل عليه من طريق شريف !

